المداراة الدعويّة

مفهومها ومعالمها وأهميتها في تأليف قلوب المدعوين

إعداد

علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي

المملكة العربية السعودية

Email: AliAlshanqiti@yahoo.com

الملخص:

المداراة الدعويّة مفهومها ومعالمها وأهميتها في تأليف قلوب المدعوين

✍ **إعداد / علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي**

الدعوة إلى الله عز وجل وظيفة الأنبياء والرسل وأتباعهم، الذين أمروا بتبليغ دين الله ومخالطة عباد الله، فلذلك كانت الحاجة ماسة إلى رصيد من السلوك والأخلاق كبير يحمي الداعية به نفسه ودعوته ويتألف به قلوب المدعوين من الأقربين والأبعدين، كالملاطفة والبشاشة، وطلاقة الوجه، وحسن المعاشرة، والصبر على الأذى، وغضّ الطرف، والتودد بطيب الكلام وحسن الفِعال، مع الجميع بلا استثناء؛ تأليفاً لقلوبهم في الدين، وترغيبا لهم في الخير، واتقاءً لشرهم المتوقع، وهذه الأخلاق كلها وغيرها تدخل في باب عظيم من أبواب السلوك؛ وهو مايسمى بـ " المداراة "، فالأعداء والأصدقاء على حد سواء بحاجة إلى المداراة لأنها من الأخلاق المهملة عند البعض، رغم أنّها من أقوى أسباب تأليف قلوب المسلمين، ودفع شر أعداء الملة والدين، يقول الله تعالى: ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر....))[1].

والداعية الفقيه البصير بأمر دعوته يتصدى لدعوة الناس ويلاقي في سبيل ذلك كثيراً من العنت والأذى، ويقابل من الصدود والإعراض ما قد يحمله على المواجهة وترك المداراة، والأولى أن لا يفعل ذلك، بل الواجب الشرعي والفقه الدعويّ، يلزمه بمداراة المدعوين، وتأليف قلوبهم، وعدم الإغلاظ عليهم، وعدم مكاشفتهم ومواجهتهم بما لايحبون وأن لا يظهر العداء والبغض؛ لأنّه يريد إصلاحهم وهدايتهم.

وهذا التخلق بالمداراة باب عظيم، وفقه دقيق له مفهوم ومعالم ودلالات، وقبل ذلك له أصول ومنطلقات وأهمية ومشروعية، نحتاج إلى بيانها والتأصيل لها والتفصيل فيها ما أمكن تحت عنوان: (**المداراة الدعويّة**: مفهومها ومعالمها وأهميتها في تأليف قلوب المدعوين)

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩)

وجاء البحث من فضل الله تعالى مختصرا في ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: في مفهوم المداراة الدعويّة وأهميتها وتمييزها عن غيرها

الفصل الثاني: في مشروعية المداراة الدعويّة ومكانتها من خلال النصوص الشرعية

الفصل الثالث: في معالم المداراة الدعوية وأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى

وفي كل فصل من هذه الفصول الثلاثة ما تيسر من المباحث والمطالب والفقرات ذات العلاقة.

الكلمات المفتاحية : المداراة – دعوية – المفهوم– المعالم – المدعوين.

Email: AliAlshanqiti@yahoo.com

الملخص مترجما:

***Advocacy.**
Its meaning, significance and importance in forming the hearts of invitees.

By:
Dr. Ali Altaleb Alshanqiti*

The call to Allah is the duty of the prophets and messengers and their followers, who ordered the notification of the religion of God and the relationship of the worshippers of God, so the need for a balance of behavior and ethics is great in protecting the caller himself and the call and consists of the hearts of invitees of the closest and distant, such as kindness and vulnerability, fluency and good cooperation , And the patience of the harm, and turning a blind eye, and courting the good and effective speech, with everyone without exception; a synthesis of their hearts in religion, and the absence of them in the good, and the prevention of their expected evil, and these ethics all and others enter the door of a great door of behavior; "The enemies Friends alike need to be polite because they are morally neglected in some, even though

they are one of the strongest reasons for forming the hearts of Muslims, and pushing the evil enemies of religion and religion, God says: ((Mercy of God to them even if you are rude and heavy heart to disperse around you And seek refuge in them and consult them in the matter...)) ٣).

And the preacher who is ignorant of the matter of his call addresses the call of the people and finds in the path of that a lot of intransigence and harm, and he is confronted by the doubts and the symptoms that may lead him to confrontation and leaving the politeness. The first is that he does not do so, but rather the duty of the law and the jurisprudence of the supplication. And not to expose them and confront them with what they do not want and show hostility and hatred, because he wants to reform and guidance.

This creation is a great door, and a precise jurisprudence has a concept, landmarks and connotations, and before it has its origins, points of view, importance and legitimacy, we need to articulate it and elaborate on it as much as possible under the title: Advocacy.

Its meaning, significance and importance in forming the hearts of invitees.

The research that came from the virtue of God is summarized in three chapters as follows:

Section One: the concept of advocacy and its importance and distinction from others

Section Two: The legality of the advocacy and its status through the legal texts

Section Three: The characteristics of advocacy and importance of advocacy in the call to God. In each of these three sections, the study facilitates the investigation, demands and related concepts.

Key words: politeness - advocacy - concept - features - invitees.

Email: AliAlshanqiti@yahoo.com

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، القائلِ على لسان رسوله الأمين ﷺ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] والصلاةُ والسلام على إمام الدعاة ﷺ الذي دعا إلى سبيل ربّه كما أمره؛ بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ومدحه جلّ وعلا بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] ورضي الله عن صحابته الكرام الذين قاموا بواجب الدعوة إلى الله وفَقِهوها، فبلّغوا الرسالةَ وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمّة، فحصل الخير والنصر والتمكين، وتمت العاقبة للمتقين أما بعد:

الدعوة إلى الله عز وجل وظيفة الأنبياء والرسل وأتباعهم، الذين أمروا بتبليغ دين الله ومخالطة عباد الله، فلذلك كانت الحاجة ماسة إلى رصيد من السلوك والأخلاق كبير يحمي الداعية به نفسه ودعوته ويتألف به قلوب المدعوين من الأقربين والأبعدين، كالملاطفة والبشاشة، وطلاقة الوجه، وحسن المعاشرة، والصبر على الأذى، وغضّ الطرف، والتودد بطيب الكلام وحسن الفِعال، مع الجميع بلا استثناء؛ تأليفاً لقلوبهم في الدين، وترغيبا لهم في الخير، واتقاءً لشرهم المتوقع، وهذه الأخلاق كلها وغيرها تدخل في باب عظيم من أبواب السلوك؛ وهو مايسمى بـ " المداراة "، فالأعداء والأصدقاء على حد سواء بحاجة إلى المداراة لأنها من الأخلاق المهملة عند البعض، رغم أنّها من أقوى أسباب تأليف قلوب المسلمين، ودفع شر أعداء الملة والدين، يقول

(١) سورة يوسف الآية (١٠٨)

(٢) سورة القلم الآية (٤)

الله تعـــالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(١).

والداعية الفقيه البصير بأمر دعوته يتصدى لدعوة الناس ويلاقي في سبيل ذلك كثيراً من العنت والأذى، ويقابل من الصدود والإعراض ما قد يحمله على المواجهة وترك المداراة، والأولى أن لا يفعل ذلك، بل الواجب الشرعي والفقه الدعويّ، يلزمه بمداراة المدعوين، وتأليف قلوبهم، وعدم الإغلاظ عليهم، وعدم مكاشفتهم ومواجهتهم بما لايحبون وأن لا يظهر العداء والبغض؛ لأنّه يريد إصلاحهم وهدايتهم، وعليه فإنّ فالداعية إلى الله في أثناء دعوته مطلوب منه مداراة المدعويين من خصومه وأعدائه فضلا عن أتباعه والمقربين منه.

وهذا التخلق بالمداراة باب عظيم، وفقه دقيق له مفهوم ومعالم ودلالات، وقبل ذلك له أصول ومنطلقات ومشروعية من خلال النصوص القرآنية والنبوية، فأحببت في هذا البحث المختصر بيانها والتأصيل لها، والتفصيل فيها ما أمكن على النحو التالي:

المقدمة

الفصل الأول: مفهوم المداراة الدعويّة وأهميتها وتمييزها عن غيرها:

المبحث الأول: في تعريف المدعو وأهمية تأليف قلبه

المبحث الثاني: في تعريف المداراة الدعويّة

المبحث الثالث: في التفريق بين المداراة والمداهنة

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩)

المبحث الرابع: في أهمية المداراة الدعوية والحاجة إليها

الفصل الثاني: في مشروعية المداراة الدعويّة ومكانتها:

المبحث الأول: المداراة الدعويّة من خلال دلالات الآيات القرآنية

المبحث الثاني: المداراة الدعويّة من خلال دلالات الأحاديث النبوية

المبحث الثالث: المداراة الدعويّة من خلال مقولات العلماء والمصلحين

الفصل الثالث: من معالم المداراة الدعوية وأهميتها في الدعوة إلى الله

- مداراة المدعوين بالخلق الحسن عموما:
- مداراة المدعوين بالقول الحسن والكلمة اللينة:
- مداراة المدعوين بطلاقة الوجه والبشر وحسن الحفاوة:
- مدارة المدعوين بالتغافل والستر وعدم التشهير
- مداراة المدعوين بالتلميح قبل التصريح

الفصل الأول: مفهوم المداراة الدعويّة وأهميتها وتمييزها عن غيرها:

المبحث الأول: في تعريف المدعو وأهمية تأليف قلبه:

أولا: تعريف المدعو في اللغة والاصطلاح:

– **المدعو في اللغة:** المدعو: أصله من الفعل (دعا) واسم المفعول (مدعو) وهو اسم مشتقّ، من دعاه يدعوه، ودعوت فلاناً أي صحت به، ودعا الرجلُ الرجلَ إذا ناداه[1].

– **المدعو في الاصطلاح:** اختلفت عبارات أهل العلم من المتخصصين في الدراسات الدعويّة في تعريف المدعو، بين الإجمال والتفصيل[2]، ومن أبرز ما وقفت عليه مايلي:

(أ) التعاريف المختصرة ومن أبرزها: أنّ المدعو هو: (من توّجه إليه الدعوة)[3] وقيل هو: (الإنسان، أيّ إنسان كان)[4] فالمدعوون هم الناس جميعا في كلّ زمان ومكان.

(ب) التعاريف المفصّلة ومن أبرزها:

أنّ المدعو هو: (الإنسان مطلقاً، قريباً، كان أو بعيداً، مسلماً أو غير مسلم، ذكراً أو أنثى...إلى غير ذلك من أوصاف)[5] وقيل هو: (الإنسان العاقل المخاطب بدعوة الإسلام ذكراً أو أنثى، مهما كان جنسه ونوعه وبلده ومهنته إلى غير ذلك من

---

(١) انظر مجمل اللغة ، لابن فارس مادة (دعو) (٣٢٦/١) ، ولسان العرب المحيط، لابن منظور مادة (دعا) (٩٨٦/١) والمعجم الوسيط ، د. إبراهيم أنيس وآخرين (مادة (دعا) (٢٨٦/١)

(٢) والنظر في التعريف الاصطلاحي من زاويتين ، زاوية الإيجاز والتفصيل ، مقتبسة من منهجية الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني في كتابه المدخل إلى علم الدّعوة ، حيث عرّفه تعريفين فقط ، وراعى في التعريفين أنّ أحدهما مختصر ، والآخر جاء مطوّلا ، وسار على نفس المنوال من كتبوا بعده ، ثم هو من باب نقل نموذج من كلٍ .

(٣) المدخل إلى علم الدّعوة ، د. محمد أبو الفتح البيانوني ص (٤١)

(٤) أصول الدّعوة ، د. عبدالكريم زيدان ص (٣٥٨)

(٥) المدخل إلى علم الدّعوة ، د. محمد أبو الفتح البيانوني ص (٤٢)

الفروق بين البشر)[1] وقيل هو: (الإنسان أيّ إنسان كان، فهو يشمل الرجل والمرأة، والصغير والكبير، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والأسود والأبيض، والعلم والجاهل... ألخ)[2]

والملاحظ في التعاريف السابقة، أنّها متقاربة، ولم يدقّق الباحثون في تحرير التعريف لأنّهم يعتبرون كلّ مكلف هو في قائمة المدعوين، ومقصودٌ بالدعوة، وسبب تفاوت عباراتهم بين التفصيل والإيجاز، هو حرصهم على أن تشمل الدعوة الجميع، فالبعض رأى أنّ التعميم قد يكفي، والآخرون ذهبوا للتفصيل، بذكر قيود لا معنى لها، رغبة منهم في أن يشمل التعريف كلّ من يجب تبليغ الدعوة لهم، واحترازا من إدخال من لا يتوجه الخطاب لهم، كمن لا يستطيعون تحمّل التكاليف أصلا، كالصبيان والمجانين، أو أولئك الذين يتعسّر بلوغ الدعوة لهم، وقد يكون فوق الطاقة؛ كالجنّ مثلا، والصواب أنّ الدعوة إلى الله تعالى رسالة للجميع بغضّ النظر عن أيّ اعتبار، وخيرها ينبغي أن لا يُحرم منه أحد، والمكان المناسب لذكر تلك القيود، والشروط، والتفصيلات، هو عند التعرض لحكمها الشرعيّ؛ لا عند التفصيل في من يَستفيد منها، أو ينتفع بها، فالجميع بلااستثناء مقصودون بها، ومنتفعون بها، أمّا حكمها الشرعيّ؛ فيتفاوت، فهو يختلف مع المسلمين، عنه مع الكافرين، كما أنّه قد يكون لها حكم مع الإنس، يختلف عنه حكمها مع الجنّ، كما أنّ حكمها مع القريب غير حكمها مع البعيد؛ وليس المقام هنا للتفصيل في حكمها

وبعض التعاريف السابقة، جاء التأكيد فيها واضحا، على أن المدعو هو الإنسان أيّ إنسان كان، ولعلّهم يقصدون، إخراج الجنّ من المدعوين[3]، كما صرّح

(١) أصناف المدعوين وكيفيّة دعوتهم ، د. حمود الرحيلي ص (٤٩)

(٢) فقه الدعوة ، د. بسام العموش ص (٥٧) ، ط١ ، دار النفائس للنشر والتزيع ، الأردن ١٤٢٥هـ

(٣) وهذا في نظري والعلم عند الله غريب ، فالجنّ مقصودون بالرسالة والدين ومنتفعين بها ، ودعوة النبي ﷺ لهم باقية وعموم رسالة ﷺ تؤكد أنّ الجنّ داخلين في الدعوة ومقصودين بها ، والنصوص التي جاءت دالة على هذا العموم متنوعة ، كالآيات التي جاءت مبيّنة أنّ الدعوة =

البعض وقال بعد أن عرّف المدعو: (وهو تعريف نتحرز به عن الجنّ، فنحن غير مكلفين بدعوتهم؛ لأنّ ذلك فوق طاقتنا،كما أنّه أمر خاص بالرسول ﷺ ولا اقتداء لنا به في هذا)[1]

– ثانيا: في أهمية التعرف على المدعوين وتأليف قلوبهم:

(المدعو) هو المخاطب بالدعوة، والمقصود بها، ولو لم يكن موجودا، لما كان لها معنى، وهو أحد أركانها المهمة، وهو بجميع أنواعه، وفي جميع أحواله؛ محلّ العناية والاهتمام، ولذلك جاء الأمر واضحا وصريحا، في الحرص على هدايته، وتبليغ الخير له، وإيصال كلّ ما فيه نفعه ورفعته، و (المدعوون هم العنصر الأساس من عناصر الدعوة إلى الله عزّ وجل، إذْ ماشُرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أُرسلت الرسل إلا لدعوتهم ولذا يجب الاهتمام بهم ودراسة حالاتهم، والتصرف تجاههما بما يناسبها، مما يقرّره الشرع الحنيف)[2]

والمدعون، أيّاً كان؛ مسلما كان أم كافرا، كبيرا كان أم صغيرا، رجلا كان أم امرأة، ليسوا على حدّ سواء، فهم يختلفون في طبيعة نشأتهم، واختلاف ظروفهم، وتنوع ثقافاتهم، وتباين أعمارهم، ولذلك كان من الاحتياجات البشريّة الملحّة، حتى تَستمرّ الحياة، وتُعمر الأرض، حصول التعارف بين الناس، ولذلك كان من حكمة الله تعالى؛ أنّ جعل بني آدم شعوبا وقبائل ليتعارفوا، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ

=للناس كافة وللناس جميعا ، وللعالمين ، ومثل الأحاديث التي جاءت تدلّ على خصوصية هذه الأمة ورسولها ، وأنّ كلّ نبي يبعث إلى قومه ، وأنّه ﷺ بُعث إلى الناس عامة ، وهذا العموم يدل على دخول الجنّ مع الإنس ، وأنّ لفظة الناس يدخل فيها الجنّ تغليبا ، وأنّ المراد بالعالمين هم الإنس والجن إذ هم المكلفون ، قال ابن عباس ﷺ:(العالمون الجن والإنس، دليله قوله تعالى:[ليكون للعالمين نذيرا] ولم يكن نذيرا للبهائم) ، انظر تفسير ابن كثير (٥٧٥/٤) ، والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (١٣٨/١) .

(١) فقه الدعوة ، د. بسام العموش ص (٥٧)

(٢) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر ، د. عدنان عرعور ص (١٣٧)

عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[1] فدلّت الآية على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة؛ لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل لأجل ذلك[2] يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: عند هذه الآية: (خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى، أنسابا وأصهارا، وقبائل، وشعوبًا، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل)[3]، والداعيّة بتعرفه على المدعوين وحرصه على ذلك؛ سوف يلحظ تفاوتا وتباينا واختلافا كبيرا بينهم، يجعله يُراعي في دعوته الأسلوب المناسب والمؤثر لكلّ واحد منهم، والخطوة الأولى مع كلّ مدعو؛ ليصل لمقصوده، ويبتعد عن كلّ ما ينفر من دعوته.

ولذلك كان منهج النبي ﷺ بارزا في هذا الجانب، وكانت عنايته بالتعرف على المدعويين مشهودة ومشهورة، إمّا بسؤالهم المباشر، أو السؤال عنهم، أو لسابق معرفةٍ عنده بهم، وكانت هذه المعرفة منه ﷺ هي النقطة الأولى التي يبدأ منها في دعوتهم، واستمالتهم، والتأثير عليهم، كما حصل منه ﷺ في صلح الحديبيّة[4]، فإنّه قريشا لما رغبت في أن تُرسل رسولا إلى معسكر المسلمين، وينظر أمرهم، ويقف على حالهم، ويعود لهم بالخبر ليقدّروا أمرهم، قال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال ﷺ: ((هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له)) فبُعثت له، واستقبله الناس يُلبّون، فلما رأى ذلك، [كانت النتيجة] أنّ الرجل رجع وهو يقول: (سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت)، فلما رجع إلى أصحابه قريش قال لهم: (رأيت الإبل قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت) فقام رجل منهم، يُقال له مكرز ابن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: ((هذا مكرز، وهو رجل فاجر))، فجعل يكلم

(١) سورة الحجرات الآية (١٣)

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ص (٨٠٢)

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي (٢١٧/٤)

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، برقم (٢٧٣١،٢٧٣٢) ، (٣٨٨/٥)

النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال النبي ﷺ: ((لقد سهل لكم من أمركم))، فكان لمعرفة النبي ﷺ المسبقة لهؤلاء القادمين، بل بمعرفة بعض خصوصياتهم، أثر كبير في تقدير حجم الحفاوة بالقادم، وكيفية التعامل معه، وما يناسب فعله وتقديمه بين يديهم ليؤثر ذلك عليهم [مثلا] معرفته ﷺ بحال الرجل من بني كنانة؛ وكونه وقومه يعظّمون البدن، جعل النبي ﷺ يتخذ الإجراء المؤثر عليه ويدفعها بين يديه، فحرّك نفسه، ورجع بغير الوجه الذي جاء به ومما يؤكد عناية النبي ﷺ بهذا الجانب أنّه كان يأخذ معه، نسّابة قريش الصديق ﷺ عندما كان يعرض نفسه ودعوته على القبائل[1]، ليقوم بدور المهم والأساسي في هذا الجانب[2]

ومع أهمية التعرف على المدعو كما سبق بيانه، إلا أنّ الدعوة ينبغي أن تشمل من يعرفه الداعية، ومن لم يعرفه، ومن استطاع التعرف عليه ومن لم يستطع، يقول الدكتور فضل إلهي: (ضرورة اهتمام الداعي بالتعرف على المخاطبين، لا يعني حصر الدعوة فيمن يعرفهم... بل المقصود التوجيه إلى معرفة أحوالهم، حتى يتمكن من اختيار المناسب من الموضوع، والأسلوب والوسيلة، والمجال، والميدان، أثناء دعوته إيّاهم)[3]

وسيرة النبي ﷺ ودعوته؛ مليئة بحرصه على التعرف على المدعوين، ومن ذلك مايلي:

- **تعرّفه على عدّاس وأثر ذلك في دعوته:** ففي رحلته ﷺ إلى الطائف، وحينما ألجأته ثقيف إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة التقى غلاما لهما اسمه: عدَّاس، فقال له ﷺ: ((من أيّ أهل البلاد أنت يا عداس؟وما دينك؟ قال: نصراني،وأنا رجل

(١) السيرة النبوية ، لابن كثير (٤٣٧/١)

(٢) فالناس أجناس وشعوب متنوعة وقبائل مختلفة ، لهم مناقب ومثالب ، يحتاج الداعيّة أن يكون عارفا بها ، وبصيرا بما يترتب عليها ، قبل أن يُباشر دعوتهم ، ويستغرق فيها ، فالمدعوين ليسوا سواء ، وبيئاتهم تختلف ، وتقاليدهم ليست واحدة ، فيحتاج الأمر إلى نسّابة عالم بأخبار القبائل وأيام العرب ، وعادات الناس وأعرافهم .

(٣) من صفات الداعية مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين ، د. فضل إلهي ص(١٥٧)

من أهل نينوى))[1] فكان ذلك التعارف سببا في التقارب وتآلف القلوب وإسلامه على يديه، وعزائه فيما حصل

– **تعرفّه على الأنصار وأثر ذلك في دعوتهم**:فإنه ﷺ عندما لقي وفدا من يثرب في الحج، ابتدأهم بسؤاله: ((من أنتم ؟)) فقالوا: من الخزرج، فجلس معهم، وكان ذلك التعارف واللقاء التاريخي، وتبعته العقبة الثانية، وكان إسلام الأنصار، ولم يبق بيت إلا ودخلته الدعوة، ثم هاجر إليهم، فأصبحت مدينتهم عاصمة الإسلام الأولى[2].

– **تعرفه على وفد عبد القيس وأثر ذلك في دعوتهم**: فإنّهم لما قَدِموا عليه، قال لهم ﷺ: ((من القوم أو من الوفد ؟)) قالوا: ربيعة قال: ((مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى))[3] فأثنى عليهم، وهذا الثناء ناتج عن سابق معرفته بأصلهم وأحوالهم، بل وعرف خصوصيات خواصهم، وقدّرها، وذلك حين راعى تأخير سيّدهم الأشجّ ﷺ ولم يتخذ موقفا منه، بل عذره وقال: ((إن فيك لخصلتين يحبهما الله:الحلم والأناة))[4]

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام (٤٨/٢)

(٢) فتح الباري ، لابن حجر (٧/ ٦٢٤)

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان ، برقم (٥٣) ، (١٢٩/١)

(٤) أخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ برقم (١٧) ، (٤٨/١)

المبحث الثاني: في تعريف المداراة الدعويّة:

أ – المداراة في اللغة: فالحاجة ماسّة إلى تأصيل المفاهيم وتحريرها، وبيان معان المصطلحات ودلالاتها، وخاصة تلك المصطلحات التي تتداخل مع غيرها أو قد يساء فهمها، أو يشاع من ظاهر دلالاتها خلاف مقصودها، والخلط في ذلك قد يحسمه الدقة في تعريفها[1] ويزيل ما يحصل من اختلاف الناس في فهم المقصود بالمداراة، هل هي خلق كريم مطلوب، أو مداهنة محرمة، أو نفاق وخداع، وهل هي مطلوبة على الدوام، أو في حالات استثنائية، والموضوع الذي نحن بصدد الدخول فيه من أحوج المواضيع لتحديد مفهومه وتحريره، لتداخله مع غيره، وما يترتب على ذلك التداخل من المواقف، وخاصة في هذا العصر الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، وغلب فيه التناقض والاضطراب، فقد يقع الداعية في المداهنةِ وهو يظنها مداراة، ويحصل منه النفاق وهو يظنه قربة وطاعة.

أولا: المداراة في اللغة[2]: من (درأْتَ) الرجل (مُدارأة) إذا اتّقيتَهُ، وكلّ من دفعتَه عنك فقد (درأْتَه)[3] قال ابن منظور: (والمداراة في حسن الخلق، والمعاشرة مع النّاس يكون مهموزًا [مدارأة] وغير مهموز [مداراة] فمن هَمَزَه كان معناه: الاتقاء لشرّه، ومن لم يهمزه جعله من (داريْت) أي: لاينته[4]، قال الجوهري: ومداراة النّاس: ملاينتهم، ومنه الحديث: ((رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة النّاس)) [5] فالمداراة

(١) والمقصود من التعاريف ليس الحشو والاستطراد وإنما تقريب المعاني ، والمتقدمون من أهل العلم لم يكن من عادتهم التعمق في التعريفات ، ولكن لما توسعت العلوم والمعارف وتداخلت توجهت همتهم إلى تحرير التعريفات والتدقيق فيها

(٢) قال ابن بطال : (المداراة خفض الجناح للناس ، ولين الكلام ، وترك الإغلاظ لهم في القول) وقال الإمام ابن حجر (المداراة : الدفع برفق) انظر فتح الباري (١٠/ ٥٢٨) .

(٣) انظر تهذيب اللغة للثعالبي (١٥٦/١٤) دار مكتبة الحياة بيروت

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور (الجزء الثالث : مادة (درأ)

(٥) أخرَجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه ،كتاب الأدب ، باب ما جاء في اصطناع المعروف انظر تاريخه (٦٢٢/٢)
وانظر كذلك شعب الإيمان للبيهقي رقم (٨٤٤٦) (٣٤٣/٦)

تحمل معاني متعددة تدور حول التعطف والدفع برفق ولين قال الشاعر: ما دمت حيّا فدار الناس كلهم: فإنما أنت في دار المداراة [١]

ب – المداراة في الاصطلاح: بناء على التعريف اللغوي فالتعريف الاصطلاحي لايخرج عن ذلك، ومن أبرز التعريفات التي وقفت عليها:

عرّف الإمام ابن منظور رحمه الله المداراة أنّها: (الملاينة، وحسن الصحبة والخُلق والمعاشرة، واحتمال الآخرين؛ لئلا ينفروا عنك) [٢] **وعرّفها الإمام ابن حجر رحمه الله بأنها**: (خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أسباب الألفة)[٣] وقال أيضا(المداراة الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله،وترك الإغلاظ عليه، حيث لايُظهِر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول، والفعل ولاسيما إذا احتِيج إلى تألفه[٤]

وعرّفها الإمام الألوسي رحمه الله بقوله: (هي إلانة الكلام للكفار والفسقة والظلمة، والتبسم في وجوههم، والإنبساط معهم، وإعطاؤهم لكفّ أذاهم، وقطعِ ألسنتهم، وصيانة العِرض منهم)[٥] وقيل بأنّها: (التلطف بالمخطئ، وعدم مصارحته، أو مفاجأته بحكم عمله، أو قوله، أو بالحكم عليه رجاء هدايته، أو هي: جواز تأخير البيان من أجل التغيير، انتظار فرصة أفضل، إذا لم يترتب على التأخير مفسدةٌ أعظم)[٦].

---

(١) انظر تهذيب اللغة للثعالبي (١٥٦/١٤) دار مكتبة الحياة بيروت

(٢) ابن منظور : لسان العرب المحيط ٧٩٦/١

(٣) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥٢٨/١٠

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري : (٥٢٨/١٠) . وقال في موضع ثالث: المداراة هي حسن المعاشرة مع الناس ، وبذل الجهد في الإحسان إليهم والإغضاء عنهم. يقول تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) انظر فتح الباري كتاب الاعتصام (٢٦٠/١٣) والآية في سورة الأعراف برقم (١٩٩)

(٥)انظر روح المعاني في تفسير القرآن ١٢٢/٣ط٤،دار إحياءالتراث العربي،بيروت، ١٩٨٥م.

(٦) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر ، د. عدنان عرعور ص (٢٢٩)

ولذلك فالمــداراة: من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظنّ بعضهم أنّ الْمُدَارَاة هي الْمُدَاهَنَة؛ فَغَلَط؛ لأنّ المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرّمة، والفرق أنّ المداهنة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء، ويستر باطنه، وفسّرها العلماء بأنّها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه، من غير إنكار عليه[1].

(١) انظر فتح الباري (٩/٢٥٢)

المبحث الثالث: في التفريق بين المداراة والمداهنة:

على الرغم من اشتراكها في بعض المعاني اللغوية والاصطلاحية فهناك فرق جوهري كبير بينهما، فالمداهنة في اللغة مأخوذة من: دَهَن المطر الأرض بلّها بللاً يسيراً كالدُّهن الذي يُدهن به الرأس[1] إلى أنّ المعنى الاصطلاحي للمداهنة يختلف عن المداراة، كما جاء واضحا، من خلال تعريفات المداهنة عند أهل العلم واللغة والتخصص [2].

والفرق كبير بين (المداراة)[3] وبين (المداهنة)[4] فالأولى جائزة ومشروعة ويحتاجها الداعيّة، بل قد تكون لها الأولويّة مع بعض المدعوين[5] وفي بعض الحالات،

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٢، ط١ ، الدار الشافعية – بيروت– ١٩٩٢م.

(٢) يقول الإمام ابن منظور رحمه الله أنها : (إظهار خلاف ما يُبطن، أو ما يُضمر) لسان العرب ١٠٢٩/١ ، وقارن الإمام ابن حجر رحمه الله بين المداهنة والدهان فقال : (كالدّهان الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه) انظر فتح الباري ٥٢٨/١٠ ، وقال في موضع آخر أنّ المداهنة هي : (معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه) انظر فتح الباري ٥٢٨/١٠

(٣) والشرط المهم حتى تكون المداراة شرعيّة ؛ أن لا يكون فيها قدح في الدين بتأييد الباطل ، أو إبطال لحقّ ، كما يشترط فيها الحسبة بالقلب وإن تأخر الفعل والقول ، والنيّة مبيتة للحسم في الموضوع في أقرب فرصة مناسبة .

(٤) **والمُداهَنة هي**: (أن ترى منكرا وتقدر على دفعه ولم تدفعه حفظا لجانب مرتكبه أو جانب غيره أو لقلة مبالاة في الدين) انظر التعريفات للجرجاني(٦٧/١) **وقيل هي**: (إظهار خلاف ما يُبطن) انظر لسان العرب (١٦٠/١٣)

(٥) وخاصة المدعوين القريبين منه جدا ، ولا يستطيع أنْ ينفكّ عنهم مثل الوالدين والزوجة والأبناء ، أو أولئك المدعوين الذين يُظهرون القُرب ، وهم يُبطنون خلاف ذلك ؛ كالمنافقين المغرضين بالدعوة والمدسوسين فيها ، وهؤلاء هم خصوم الدعوة الحقيقيون والطابور الخامس المفسد ، =

والثانية محرمة وهو في غنىً عنها، وقد جاءت النصوص في ذمّها، وحذّرت من فعلها، كما في قوله تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ. وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾[1]، والداعية أمام ما يتعرض له من المواقف التي يحتاج فيها إلى قرار وحسم، يقع بين خيارات متعددة معها: إمّا المداراة أو المداهنة، أو المواجهة، فالمداهنة حرام، والمواجهة قد تُصيب وقد تخطئ، والمدارة هي الأولى في هذه الحالة، وهي نوع من التريث، لا سكوتا عن الباطل، ولا مداهنة له، ولكنّه يؤخر المواجهة، ويُعطي المدعو الفرصة بعد الفرصة، لعلّه يعود إلى رشده.

والمداراة والمداهنة وإن كانا يتشابهان في الظاهر، إلا أنّ مقصد كلّ واحد منهما، ودافعه مختلفٌ جدا، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (المداراة صفة مدحٍ، والمداهنة صفة ذمٍ، والفرقُ بينهما أنّ المداري يتلطفُ بصاحبه حتى يستخرجَ منه الحق، أو يرده عن الباطل، والمداهن يتلطف به ليقرّه على باطله ويتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق،)[2] والأصل في مشروعية هذه المدارة دلالات النصوص الشرعية عموما، على أهمية تأليف القلوب، والصبر على المدعوين وتحملهم، وغضّ الطرف عنهم، وحسن المعاشرة لهم وتلك النصوص كثيرة ومتنوعة، وفي أكثر من اتجاه' ومن ذلك ماجاء في الوصيّة بالنساء ومداراتهنّ، وأنّ تلك هي السياسة المناسبة معهنّ، لخصوصيتهنّ، ولطبيعتهنّ وما قدّره الله عليهنّ من نقص، والفقه الدعويّ المطلوب مع مثل هذا النوع من المدعوين هو المداراة، كما بيّنه وعلّله النبي ﷺ: ((فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء))[3]

= ومع ذلك يحتاجون إلى فقه المداراة إلى حدود ، كما كان النبي ﷺ يتعامل مع المنافقين في المدينة آنذاك .

(١) سورة القلم الآية (٩)

(٢) انظر الروح ، لابن القيم ص (٢٣١)

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، برقم (٣٣٣١) ، (٤١٨/٦)

ولذلك قال ابن بطال: (والفرق أن المداهنة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، لاسيما إذا احتيج إلى تأليفه ونحو ذلك)[1]. ويقول الإمام الألوسي: ((لا ينبغي المداراة حيث يُخدش الدين، ويُرتكب المنكر، وتَسيءُ الظنون))[2] وفي هذا المعنى يقول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه". قال ابن حجر " وإنما كان ذو الوجهين من شرار الناس لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، ولأنه يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها. وصنيعه نفاق، ومحضُ كذبٍ وخداع، وتَحيّل على الإطلاع على أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرمة، أما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فيأتي بكلام فيه صلاح الأخرى، ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل إليها ما أمكن من الجمل ويستر القبيح فهذا محمود. والمذموم من زين لكل طائفة عملها، ويقبحه عند الأخرى، ويذم كل طائفة عند الأخرى. فهذا من شرار الناس يوم القيامة عند الله. [3]

فالمداراة مندوبة مع الناس، سيما مع الأعداء، ومن يُخشى شره أو ضُره، والمداهنة محرمة منهي عنها؛ والمداراة من الخلق الحسن، والمداهنة من الخلق المذموم، فالمداراة هي دفع الشر بالقول الحسن أو الفعل الحسن، وتبليغ الحق بأسلم وسيلة، وتكون في بعض الأحوال، والمداهنة هي السكوت عن الحق، أو الموافقة في المعصية قال الله تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ)) [4]

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٢٨-٥٢٩)

(٢) انظر تفسير روح المعاني للألوسي (١٢٢/٣)

(٣) انظر فتح الباري لابن حجر كتاب الأدب (باب ما قيل في ذي الوجهين (٤٧٤/١٠)

(٤) سورة الحج الآية (٧٧) .

فالفرق كبير بين المداراة والمداهنة كبير لأن المقصود بالمداراة ملاطفة الناس لإيصالهم إلى ما يحبه الله ويرضاه، أما مداهنتهم فهي غشّ ومحرم أيا كان المداهَن، وليس التلطف حينها من التلطف الممدوح، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) [1]

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٤) (٦٠٩/٤) وصححه الألباني .

المبحث الرابع: في أهمية المداراة الدعوية والحاجة إليها:

والداعيّة إلى الله تعالى يتعرض إلى مواقف مختلفة مع المدعوين، وهذه المواقف يحتاج فيها إلى نوع من الفقه وعدم الحسم مع المدعو إمهالا له، وتطويلا للعلاقة به، لعلّ فرصة أخرى تتيسر لهدايته، وهذا الفقه وحسن التصرف، أولى من القطع، وهو نوع من التمهل والتروي الذي يحتاجه الداعية دائما مع مدعويه، حتى لا يخسرهم، ويقطع طريق الخير الذي يصلهم، وحتى لا يحسم العلاقة النافعة لهم؛ وهنا تظهر أهمية **(المداراة الدعوية)** والحاجة إليها

وهذا السلوك وإن كان خاصا مع نوع من المدعوين، وفي بعض الحالات، إلا أنّه مهم، وفقهها أهم، لأنّها الوحيدة القادرة على إيجاد الموازنة بين المواجهة والصراحة وما يترتب على ذلك من ضرر قد يَلحق بالداعية والمدعو معاً، وبين المداهنة وترك القيام بواجب الدعوة، وكتمان العلم، مما يَحرُم على الداعية اللجوء إليه، فتأتي المداراة لتكون المخرج الشرعيّ، والحالة الاستثنائية، التي يلجأ إليها الداعية مؤقتا، حتى يُحدد المناسب الذي ينبغي الحسم فيه، والإقدام عليه، وعدم استخدام المداراة يعني أحد السقوطين في الغالب: **(سقوط في المداهنة)** التي تضرّه ودعوته في الدنيا قبل الآخرة، أو **(سقوط في المفاصلة)** التي تحرم المدعوين من الدعوة وتقطعهم عنها، وتضع حواجز وعوائق يصعب إزالتها [1]، وفي النهاية فإنّ المداراة باب شرعيّ، يحتاج الداعية لولوجه، وتقديمه بدلا من المواجهة، وهو مقدم عليها، وأنفع منها،، فلا يحرمنّ الداعية

(١) وفي الوقت الذي تحرّم فيه المداهنة ، فإنّ المواجهة والحسم والمفاصلة في الغالب تقع خلاف الفقه الشرعيّ ، لأنّ الحكمة والتأني مطلوبان ؛ لدراسة العواقب ؛ وحتى لا يُقال أنّ محمدا يقتل أصحابه ، ولأنّ أصحاب هذا الاتجاه في الغالب يقسون على الآخرين ، ويُحجّمون علاقتهم بهم ، ويضيعون كثيرا من المصالح ، بل يتجاوزون في ذلك إلى الإساءة للطرف الآخر ممن لم يأخذ بخيارهم ، ويصفونهم بالمداهنة والتلون والعمالة ، فاللطف والظرف والرفق والتغاضي معانٍ مفقودة في قاموس البعض الدعويّ إلا من رحم الله ، وفيها للداعية الفقيه مندوحة لا ينبغي له أن ينساها ؛ بشرط أن يكون أخذه بها ، وتقديمها ، أو تركه لها ، وتأخيرها من خلال النصوص الشرعيّة .

نفسه من اعتبار هذا الخيار، وفيه فقه دقيق يحتاج إلى مزيد بحث ودراسة، **ومن دلالات أهمية المداراة والحاجة إليها:**

أولا: إبراز مكانة الأخلاق وأثرها في الدعوة والإصلاح، وأنّها من أهم مجالات إعداد الداعية إلى الله تعالى؛ فللأخلاق الحسنة، والصفات الرفيعة، أهمية خاصة في الدعوة إلى الله تعالى، فالإعداد الخلقي، لأنّه المكون الأساس لشخصيّة الداعية، ولأنّ القدرات العلمية والعملية؛ لا قيمة لها إذا لم تبن، على صفات نفسية عاليه، وأخلاق وسلوكيات رفيعة، ولا يتصور أن يدعو الداعية إلى مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وهو لا يتصف بها؛ لأنّه بذلك لن يستطيع؛ كسب ثقة المدعوين، والتأثير عليهم قال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1]

وهذا التميز الخلقي والسلوكي كان من أعظم أسباب نجاحه ﷺ في دعوته، فإنّه ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بأحد، وشمل الجميع بصبره، وخصّهم برفقه، وكان الرحيم الشفوق بهم، فالخلق الحسن؛ باب مُشرع للداعية لكسب الآخرين، وتأليف قلوبهم، وكسب محبتهم، حتى يستطيع استيعابهم والتواصل معهم والاندماج في حياتهم[2]

والمداراة التي نحن بصدد البحث فيها، وخوض غمارها؛ خلق من أخلاق الإسلام العظيمة، التي ينبغي للداعية إلى الله تعالى أن تكون لبوسه الذي يخالط به

(١) سورة البقرة الآية (٤٤)

(٢) وقال ابن حبان: «من التمس رضا جميع الناس التمس ما لا يُدرك، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بداً، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من العادات كان يستقبحها، واستقباح أشياء كان يستحسنها، ما لم يكن إثماً؛ فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من دارى فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يداري؟! ».

الناس، وردة فعله الحاضرة عند كلّ مواقف المدعوين وصدودهم القولي والفعلي[1]؛ دون أن يكون في تلك المداراة تقصير في قيامه بالواجب، أو تفريطه في الثوابت، فالمداراة خلق دعويّ أصيل ومهم؛ ما لم تصل بالداعية للتنازل عن الحق والتفريط فيه والمساومة عليه، فعندها تتحول المداراة المحمودة إلى شيء آخر قد يكون المداهنة وقد يكون نفاقا أو تقية، وقد يكون غير ذلك.

وتظهر أهمية هذا الموضوع في بيانه لخلق عظيم من أخلاق الإسلام، غفل عنه كثير من الناس، مع أنه مرتبط بأقوالهم وأفعالهم، ومتعلق بسلوكهم ومعاملاتهم وينطوي هذا الخلق على الكلمة الحسنة، وطلاقة الوجه والبشر، والإحسان، والرفق، وخفض الجناح.. الخ.

ثانيا: إبراز قيمة المداراة ومشروعيتها، وأنّ الدافع إليها شرعي ودعوي محض وأنّها من صميم الأخلاق الإسلامية الأصيلة؛ فهذا الخلق الكريم وهذا التعامل الإنساني هو معلم شرعي أصيل منذ بداية الدعوة والداعية الأول، ولم يظهر بسبب المادية الحديثة والمجاملات الباردة والمصالح الدنيوية الضيقة التي فرضت في بعض الأوقات نوعا من هذا السلوك، وخاصة في هذا العصر أكثر من ذي قبل، حيث العولمة واختلاط الناس وتحول العالم كما يقال إلى قرية صغيرة ، والواقع المعاصر اليوم فرض ظروفا مختلفة وأخلاقا مادية مصنوعة، وانتشار ظاهرة المجاملات اللاشرعية وصفات النفاق والكذب ونحو ذلك من صور المداراة بمفهومها الواسع وصورها المغلوطة التي خرجت عن المدلول الشرعي إلى مدلولات أخرى غير مشروعة.

فهذا إمام الدعاة ﷺ يشرع مثل هذا السلوك وهذا التعامل لمصالح واعتبارات كما جاء واضحا في التأصيل للمداراة[2]، ماروته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ أنّ رجلا استأذن على النبي ﷺ فقال ﷺ: ((ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس أخو

(١) وتظهر هذه الأهميّة بوضوح ؛ عندما يتواصل الداعية مع أنواع مختلفة من المدعوين مختلفي الطباع والأمزجة ، فكلما كانت أخلاقه حسنة ، كان قادرا على دعوتهم والتفاعل معهم ، وتحمل ماقد يظهر من سوء سلوك .

(٢) وسيأتي ذكر مشروعية المداراة بشكل أوسع في الفصل الثاني من هذا البحث بإذن الله تعالى .

العشيرة)) فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت ثم ألنت له في القول فقال ﷺ: ((أيْ عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله، من تركه أو ودعه الناس؛ اتقاء فحشه)) (١)

وتبرز قيمة المداراة وأهميتها في تحصيل التعايش وتحقيق التواصل بين الناس في ظل العولمة والانفتاح وظروف الواقع المعاصر، وخاصة في تلك المجتمعات التي تتعدد المشارب والتوجهات فيها، وتتخللها بعض الطوائف المبتدعة، ويختلط أفرادها بغير المسلمين (من الكفار) ونحوهم فتأتي المداراة لتساعد في تحقيق هذا التعايش وتهيأة الأجواء والفرصة للتلاقي والدعوة والتوجيه بدلا من التنافر والتقاطع والمواجهة، فكان من لطف الله وفضله هذه (المداراة)(٢)

ثالثا: تمييز المداراة عن غيرها من المصطلحات الباطلة أو المذمومة والغير مشروعة التي قد تختلط بها أو تتشابه معها؛ فنظراً لما تنطوي عليه المداراة من الترحيب بالكافر والفاجر والمبغَضِ، وملاينتهم، وملاطفتهم، والإحسان إليهم، ظنّ بعض الناس أنها ضرب من ضروب المداهنة، والنفاق والخداع، فيظهر الشخص أمراً والباطن خلافه لتحقيق مصلحة وتحصيل منفعة راجحة للدعوة، أو لدفع الأذى المحقق عنه... ونحو ذلك فكان من دلالات أهمية البحث في المداراة بعد تقرير أهميتها (دفع

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب المداراة مع الناس ، برقم (٦٠٣٢) ، (١٠٢/٧)

(٢) يقول الدكتور محمد بن إبراهيم الحمد: (وللإنسان عوارض نفسية كالحب، والبغض، والرضا، والغضب، والاستحسان، والاستهجان؛فلو سار على أن يكاشف الناس بكل مايعرض له من هذه الشؤون في كل وقت وعلى أي حال لاختل الاجتماع، ولم يحصل التعارف، وانقبضت الأيدي عن التعاون فكان من حكمة الله في خلقه أن هيأ الإنسان لأدب يتحامى به ... ذلك الأدب هو المداراة ، فالمدارة مما يزرع المودة والألفة، ويجمع الآراء المشتتة، والقلوب المتنافرة ، والمداراة ترجع إلى حسن اللقاء، ولين الكلام، وتجنب ما يشعر ببغض أو غضب أو استنكار إلا في أحوال = =يكون الإشعار به خيراً من كتمانه ، فمن المداراة أن يجمعك بالرجل يضمر لك العداوة مجلس ، فتقابله بوجه طلق ، وتقضيه حق التحية ، وترفق به في الخطاب) انظر كتابه الاسباب المفيدة في اكتساب الاخلاق الحميدة .

تهمة المداهنة والنفاق والخداع عن المداري) لما في ذلك من ضرر واضح بيّن يلحق سمعة الداعية؛ فيخدش في دينه، ويطعن في شجاعته، ويقدح في مروءته، ويسيء الظنون به. وهذا من شأنه أن يؤدي إلى إيجاد شرخ في العلاقة بين الدعاة إلى الله عز وجل والمدعوين، ولكن عند معرفة أنّ المداراة خلق نبيل له اغراض ويختلف عن غيره يزول ذلك الطعن والشك في سمعة الداعية ومكانته ومصداقيته [1] .

وهذا التمييز بين المداراة المطلوبة والصور السلبية الأخرى، والتي قد يظن أنّها من المداراة أمر مهم وملح ؛ حتى لا يقع الداعية في خطورةِ الخلط بين المداراة المشروعة النافعة والمداهنة الممنوعة وغيرها التي هي من خصال المنافقين وفيها مجاراة لأهل الكفر والفسق في باطلهم، فالمداهن صاحب تلون وتذبذب، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((تجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين[2] الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه)) [3]

وما ينشأُ عن ذلك الخلط من مواقف عمليةٍ خاطئة، خاصة في هذا العصر الذي من سماته التناقض والاضطراب، وفي مثل هذه الأجواءِ يتعرض المسلم لكثيرٍ من المواقف، التي تفرضُ عليه المداراة، وقد يقع في المداهنةِ وهو يحسبِ أنها مداراة، وقد يحصلُ العكس في هذه القضية، حيثُ يوجدُ من يرفض أي أسلوبٍ للمداراة، والتي قد تكون واجبةً في بعض المواقف، ظانًّا أنها مداهنة، ومعلومٌ ما ينشأ من هذا الخلط من مفاسد أو تفويت مصالح، من أجل ذلك كله وقع الاختيار على هذا الموضوع، وبرزت مكانته وأهميته.

---

(١) وقد تم التفصيل والتفريق بين المداراة وغيرها في المبحث الثالث السابق بشكل واضح .

(٢) قال القرطبي: (إنما كان ذو الوجهين شر الناس؛ لأن حاله حال المنافق، إذ هو متعلق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب)١.

(٣) التخريج

الفصل الثاني: في مشروعية المداراة الدعويّة ومكانتها:

المبحث الأول: المداراة الدعويّة من خلال دلالات الآيات القرآنية:

ليس هناك أدلة صريحة في القرآن الكريم، تذكر لفظ المداراة، إلا أن مجموعة من الآيات القرآنية فيها إشارات واضحة للمدارة المقصودة في هذه الدراسة، وهذه الدلالات من هذه الآيات القرآنية واضحة وبيّنة في الإشارة إلى ذلك، كقوله تعالى ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [1] وقوله تعالى: ((وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا))[2] وقوله تعالى: ((لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً))[3]. كما أنّ الأمر بالدعوة إلى الله تعالى ووجوب القيام بها وأهمية أن تكون الدعوة للجميع وبالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن والآيات جاءت صريحة في ذلك سواء بوجوب الدعوة إلى الله أساسا أو بالتوجيه والحث على أن يكون ذلك بالقول الحسن والفعل الحسن والملاطفة، وحسن الخلق، وغير ذلك من الأخلاق، المطلوبة من المسلم عند معاملته للآخرين، طمعاً في هدايتهم إلى الطريق المستقيم، وخوفا عليهم من المعاندة والإعراض وأن يكون مصيرهم إلى النار وبئس القرار ومن تلك الدلالات:

١- دلالات الآيات القرآنية على الأمر بالدعوة ووجوب مباشرتها وإيصالها للمدعوين :

٢- دلالات الآيات القرآنية على أن تكون الدعوة إلى الله بحسن الخلق قولا وعملا:

---

(١) سورة النحل الآية (٥٢١)

(٢) سورة لقمان الآية (٥١)

(٣) سورة آل عمران الآية (٨٢)

أولا / دلالات الآيات القرآنية على الأمر بالدعوة ووجوب مباشرتها وإيصالها للمدعوين:

فالدعوة إلى الله تعالى كما هو مقرر فريضة شرعية؛ تكاثر وتضافرت النصوص والأدلة على مشروعيتها ووجوب القيام بها ومباشرتها وإيصالها للآخرين، فكان من لازم هذا الوجوب القيام بما يستلزمه ويحققه من مباشرتها وإيصالها للآخرين بأحسن الطرق وأيسرها وأرفقها وأوقعها بعيدا عن كل ما ينفرهم ويصدهم عن سبيل الله وطريق الهداية ومن تلك الآيات التي جاءت بالأمر بوجوب الدعوة ومشروعيتها كقوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [١] وقوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) [٢] فهذه الآيات وغيرها فيها الأمر الصريح والجازم من الله لرسوله ﷺ بتبليغ الدين والدعوة وهذا الأمر ليس خاصا بالنبي ﷺ بل هو أمر عام له ولأمته من بعده[٣] يقول الإمام ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية الأخيرة آية سورة يوسف: (يأمر الله رسوله أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من تبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة)[٤] ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله أيضا في هذه الآية: (فقد جعل الله سبحانه سبيل رسول الله ﷺ ومتبعيه الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة، فمن ادعى أنه من أتباع الرسول ﷺ فإن من براهين صدق هذه الدعوى الدعوة إلى الله على بصيرة: على علم وحكمة وحجة وبينة) [٥] وكقوله تعالى: ((كنتم خير أمة

(١) سورة سبأ الآية (٢٠)

(٢) سورة يوسف الآية (١٠٨)

(٣) فالدعوة إلى الله عز وجل وظيفة الأنبياء والرسل وأتباعهم الذين يسيرون على هداهم ؛ فإذا كان الأنبياء على جلالة قدرهم ورعاية الله لهم ؛ قد احتاجوا إلى سلوك سبيل المداراة مع أعدائهم فمن باب أولى وأحرى أتباعهم .

(٤) أنظر تفسير ابن كثير ٢/٥١٤

(٥) أنظر مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٩٥

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) [1] فلقد ربط الله تعالى بين وصف الأمة بالخيرية ومقام الدعوة وجعله شرطا وسببا رئيسيا في تحصيل هذه الخيرية بل وقدمه على الإيمان ليظهر المزية يقول القاضي ابن عطية الأندلسي رحمه الله: (وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الأمة إنما يأخذ بحظ منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله)[2] وقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)[3] قال الإمام ابن كثير رحمه الله: (والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجب على كل فرد بحسبه)[4]

ثانيا / دلالات الآيات القرآنية على أن تكون الدعوة إلى الله بحسن الخلق قولا وعملا:

فالأخلاق الحسنة، والسلوك القويم، هي المكون الأساس لشخصيّة الداعية، ولايتصور أن يدعو الداعية إلى مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وهو لايتصف بها لأنّه بذلك لن يستطيع كسب ثقة المدعوين، والتأثير عليهم، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[5] فأخلاق الدّاعية؛ هي أخلاق الإسلام، والتي جسدها نبينا ﷺ فكان خلقه القرآن ومدحه ربه جلّ وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[6] وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[7]،

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠)
(٢) أنظر المحرر الوجيز ١٩٥/٣
(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤)
(٤) أنظر تفسير ابن كثير ٣٩٠/١
(٥) سورة البقرة الآية (٤٤)
(٦) سورة القلم الآية (٤)
(٧) سورة آل عمران الآية (١٥٩)

وهذا التميز الخلقي والسلوكي كان من أعظم أسباب نجاحه ﷺ في دعوته، فإنّه ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بأحد، وشمل الجميع بصبره، وخصّهم برفقه، وكان الرحيم الشفوق بهم وهذه من أهم معالم ونماذج مداراة المدعوين.

وللأخلاق الحسنة، والصفات الرفيعة، أهمية خاصة في الدعوة إلى الله تعالى[1] كما أنّ الخلق الحسن؛ باب مُشرع لكسب الآخرين، وتأليف قلوبهم، وكسب محبتهم، وسوف نفصل في نماذج ومعالم وصور من ذلك في الفصل الثالث – بإذن الله تعالى – . وعن جابر أنّ النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بأكملكم إيمانا؟ أحاسنكم أخلاقاً، المَوطِّؤون أكنافاً [2] الذين يألفون ويؤلفون) [3] وسئل ﷺ ما خير ما أعطي العبد ؟ قال: (الخلق الحسن) [4]

المبحث الثاني: المداراة الدعويّة من خلال دلالات الأحاديث النبوية

جاءت السنة النبوية بكثير من الدلالات الخاصة والعامة على مشروعية المداراة وأهميتها في الدعوة إلى الله وتأليف قلوب المدعوين ومراعاة الأحوال وتقدير المصالح، ومن أبرزها:

أ – دلالات الأحاديث النبوية خصوصا على مشروعية المداراة وفعلها:

ب – دلالات الأحاديث النبوية عموما على جواز الكذب لمصلحة راجحة:

---

(١) وتظهر هذه الأهميّة بوضوح ؛ عندما يتواصل الداعية مع أنواع مختلفة من المدعوين مختلفي الطباع والأمزجة ، فكلما كانت أخلاقه حسنة ، كان قادرا على دعوتهم والتفاعل معهم ، ومداراتهم وتحمل ماقد يظهر من سوء سلوكهم .

(٢) والموطئون : من التوطئة، وهي التمهيد والتذليل. والأكناف : الجوانب. يعني الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى، وهم ألهيّنون اللينون، الذين يحسنون المعاملة. ابن الاثير النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٠٥/٤

(٣) انظر شعب الإيمان للبيهقي حديث رقم الحديث (٨١١٨) ٢٧٠/٦ ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ

(٤) صحيح سنن ابن ماجه للألباني حديث رقم (٢٧٧٢) ٢٥٢/٢

ج – دلالات الأحاديث النبوية عموما على فعل الخير وبذل المعروف حسيا ومعنويا:

أ – دلالات الأحاديث النبوية خصوصا على مشروعية المداراة وفعلها:

ونستفتح بالحديث الصحيح الذي اعتبره العلماء أصلاً في مشروعية المداراة والعمل بها فعن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه أستأذن رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إئذنوا له بئس أخو العشيرة. أو ابن العشيرة. فلما دخل ألان له الكلام. قلت يا رسول الله: قلت الذي قلت ثم ألنتَ له الكلام. قال:(أي عائشة. إن شر الناس من تركه الناس، أو ودَعه الناس، إتقاء فحشه)[1] وفي رواية أخرى عنها أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال: بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة. فلما جلس تطلّق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط له، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله: حين رأيتَ الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلّقت في وجهه وانبسطت إليه. فقال صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة متى عَهدتني فاحشا ؟ إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء شره)[2] يقول ابن حجر عند شرحه للحديث "هذا الحديث أصل في المداراة" وعلى هذا الرأي الهيثمي والسخاوي وجمهرة كبيرة من علماء الحديث[3] وقال في موضع آخر: (اختلف العلماء في الرجل الذي استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فمنهم من جزم بأنه عيينة بن حصن الفزاري، ولم يكن أسلم حينئذ، وإن كان قد أظهر الإسلام. فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين حاله ليعرفه الناس، ولا يغتر به من لم يعرف حاله، وكان منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما دل على ضعف إيمانه. وبعد وفاة النبي صلى

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب المداراة مع الناس ، برقم (٦٠٣٢) (١٠٢/٧)

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب، باب: لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً انظر فتح الباري ٤٥٢/١٠

وصحيح مسلم شرح النووي ١٤٤/١٦.

(٣) انظر فتح الباري ٤٥٣/١٠، والهيثمي مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٧/٨. السخاوي المقاصد الحسنة ص ٣١١

الله عليه وسلم ارتد مع من ارتد وجيء به أسيراً إلى أبي بكر رضي الله ومنهم من جزم بأنه مخرمة وقصره عليه، ومنهم من حمل الحديث على التعدد(١).

وسواء أكان الحديث في عيينة أم في غيره، فإنه يدل على جواز مداراتة من هذا حاله، تأليفا لقلبه ليدخل في الإسلام، أو ليحسن إسلامه، أو ليسلم قومه، أو نحو ذلك من المصالح، وهذا الحديث الذي اعتبره الإمام ابن حجر وغيره أصلا في المداراة؛ قد يتوهم البعض أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حاشاه قد وقع في الغيبة أو أنه داهنه عندما هش له وبش، وألانَ الكلام معه.

فقد جبل النبي صلى الله عليه وسلم على حسن الخلق وطيب الكلام، فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وإنما كان مقصوده صلى الله عليه وسلم بيان كيفية التعامل مع مثل هؤلاء وتأليف قلوبهم (وليس في قوله ﷺ في أمته بالأمور التي يسميهم بها، ويضيفها إليهم من المكروه غيبة. وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض. بل الواجب على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبين ذلك ويُفصح به، ويعرف الناس أمره فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أمته اتقاء شر من هذا سبيله، ومُداراته ليسلموا من شره وغائلته وذلك بأن يظهروا لهم البشاشة، وأن لا يجبهوهم بها)(٢)

فكان فعله صلى الله عليه وسلم مداراة للداخل عليه تأليفا لقلبه ليسلم، أو ليحسن إسلامه، أو ليسلم قومه، أو لتحذير الناس منه ليتقوه ونحو ذلك مما يقدّره الموقف، **ويلحق بهذا الحديث مجموعة من الأحاديث الواردة بنفس المعنى وإن كانت أقلّ درجة في الصحة**(٣) .

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٥٣)

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٥٤)

(٣) مثل حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الذي جاء في الضحك وإظهار الأنس والفرح على خلاف ما عليه القلب أنّه صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّا نكشِّر في وجوه قوم وإنَّ قلوبنا لتلعنهم) أخرجه البخاري تعليقاً ووصله غيره، وقال الحافظ في الفتح١٠/ ٥٤٤ هو بين الحسن والصحة . وكذلك حديث جعل المداراة صدقة للمداري كما في حديث جابر بن عبد الله =

ب – دلالات الأحاديث النبوية التي تجيز الكذب لمصلحة راجحة:

ومن الأحاديث التي استأنس بها بعض العلماء على مشروعية المداراة جواز الكذب لقصد الإصلاح، وعند الاضطرار، مع جزمهم بأن الكذب لا يجوز في شيء مطلقاً. وحملوا الكذب المراد في بعض الأحاديث على التورية والتعريض؛ التي هي في سياق المداراة واستدلوا بماجاء في الكذبات الثلاثة المذكورة عن الخليل إبراهيم عليه السلام[1] فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذِبات؛ ثنتين منهم في ذات الله، عز وجل: قوله (إني سقيم)، وقوله (بل فعله كبيرهم هذا). وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبّار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلا معه إمرأة من أحسن الناس، فأرسَل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة، قال: يا سارة: ليس على وجه الأرض مؤمن غير وغيرِكِ، وأن هذا سألني عنك، فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسَل إليها. فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ، قال: ادعي اللهَ لي ولا أضُرّك،

=رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مداراة الناس صدقة) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ٢/ ٢١٦، وقال الحافظ ابن حجر: قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به) انظر فتح الباري (١٠/ ٥٤٥) وقال الإمام ابن مفلح : (وهو حديث حسن) انظر كتابه الآداب الشرعية ٤٥١/٣ . وكذلك حديث الحث على مداراة الزوجات ليستقمن لأزواجهن فعن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خلقت المرأة من ضلع، فإن تقمها تكسرها، فدارها تعش بها) انظر فتح الباري ٢٥٢/١٠ – كتاب النكاح (باب المداراة مع النساء: وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم إنما المرأة كالضلع). وأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (رأس العقل بعد الإيمان بالله ، مداراة الناس) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٢٥٦/٣

(١) ويقول الإمام البغوي رحمه الله : (نستفيد من هذا الحديث إباحة المداراة والمعاريض) انظر شرح السّنة ١٢٠/١٣

فدعت الله فأُطلق... الحديث) قال أبو هريرة (تلك أمكم يا بني ماء السماء)[1] وقد أجاب ابن حجر على كذب إبراهيم عليه السلام بقوله: (وأما اطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذباً لكنه إذا حقق لم يكن كذباً، لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين، فليس بكذب محض، فقوله (إني سقيم) يحتمل أن يكون أراد أني سقيم، أي سأسقم، واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرا. ويحتمل أنه أراد أني سقيم بما قُدر عليَ من الموت، أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وقيل غير ذلك، وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) قال تمهيداً للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة، وقطعا لقومه أنها تضر وتنفع وهذا الاستدلال يتجوز فيه في الشرط المتصل، ولهذا أردف قوله (بل فعله كبيرهم) بقوله (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) قال ابن قتيبة معناه إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا. أو أنه أسند إليه ذلك لكونه السبب. وقيل غير ذلك وقوله (هذه أختي) يعتذر عنه بأن مراده أنها اخته في الإسلام [2].

كما استدلوا كذلك بالأحاديث المتعلقة بجواز الكذب لقصد الإصلاح بين الناس فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فَينمي خيراً أو يقول خيرا) [2] وفي

(١) انظر فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ٣٨٨/٦ ، ونحوه في صحيح الإمام مسلم في كتاب ذكر الأنبياء وفضلهم ، باب قول إبراهيم عليه السلام ، إني سقيم .....) حديث رقم الحديث ١٦٠٩

(٢) قال ابن عقيل : (دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم عليه السلام ؛ وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه. وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره. فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام يعني إطلاق الكذب على ذلك إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه. وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما ...) فتح الباري لابن حجر ٣٩١/٦ – ٣٩٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر كتاب الصلح (باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس) (٢٩٩/٥)

رواية الإمام مسلم: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً ويَنمي خيراً. قال ابن شهاب: ولم أسمع يُرخَصّ في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل إمرأته، وحديث المرأة زوجها، وفي رواية قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث [١]

ولقد اختلف العلماء في الكذب المذكور في هذا الحديث على أقوال: قال الطبري: ذهبت طائفة إلى جوازه بقصد الإصلاح، وقالوا إن الكذب المذكور في بعض الأحاديث ومنها هذا الحديث، إنما هو لضرب المثال، وقالوا: الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرة، أو ما ليس فيه مصلحة. وقال آخرون: لا يجوز الكذب في شيء مطلقاً ، وحملوا الكذب المراد هنا على التورية والتعريض كمن يقول للظالم دعوت لك أمس، وهو يريد قوله اللهم اغفر للمسلمين.. وما إلى ذلك. واتفقوا كذلك على جواز الكذب عند الاضطرار ويحلف على ذلك ولا يأثم. والمراد من الحديث أنه يخبر بما علمه من الخير، ويسكت عما علمه من الشر، ولا يكون ذلك كذباً. لأن الكذب: هو الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهذا ساكت ولا ينسب لساكت قول، وليس في الحديث حجة لمن قال، يشترط في الكذب القصد إليه[٢]

ج – دلالات الأحاديث النبوية على فعل الخير وبذل المعروف حسيا ومعنويا:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم) [٣] فعن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن جده قال: قال النبي – صلى الله

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص ٤٧٩ كتاب البرّ والصلة (باب ما يجوز فيه الكذب) رقم الحديث ١٨١٠

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر ٥٢٨/١٠. وانظر مسلم، صحيح مسم بشرح النووي ١٥٧/١٦ – ١٥٨

(٣) الترمذي رقم (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد: ٢/ ٤٣، وقال محقق الآداب الشرعية: إسناده صحيح.

عليه وسلم – "على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: فَيعينُ ذا الحاجة الملهوف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير. أو قال بالمعروف. قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر. فإنه له صدقة) [1] وعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال " كل معروف صدقة"، قال ابن حجر في شرحه للحديث: أخرجه مسلم من حديث حذيفة وأخرجه الدارقطني، والحاكم من طريق عبدالحميد بن الحسن الهلالي عن ابن المنكدر مثله. وزاد في آخره "وما أنفق الرجل على أهله كتب له به صدقة، وما وقى به المرء عِرضه فهو صدقة". وقال أيضاً: " طيب الكلام من جليل عمل البر لقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) والدفع قد يكون بالقول كما يكون بالفعل".[2] وعن جابر بن عبدالله قال: قال صلى الله عليه وسلم: (كل معروف صدقة. وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلْق) [3] قال ابن بطّال رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير، يكتب له به صدقة. والمعروف: إسم كل فعل يُعرف حُسنه بالشرع والعقل معاً. وفيه إشارة إلى أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس منه بل كل واحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال بغير مشقة) [4] ولحسن الخلق شأن عظيم في الإسلام، فقد عدّ الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب الخلق الحسن أنّه من أكمل المؤمنين إيماناً.

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر كتاب الأدب (باب كل معروف صدقة) ٤٤٨/١٠

(٢)انظر فتح الباري لابن حجر كتاب الأدب (باب كل معروف صدقة) ٤٤٨/١٠ ، والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي ص ٣١١ ، حديث رقم ٤٧٩

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب (باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء برقم (٢٦٢٦) (٢٠٢٦/٤)

(٤) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٤٧/١٠ ، ٤٤٨ كتاب الأدب (باب كل معروف صدقة).

المبحث الثالث: المداراة الدعويّة من خلال مقولات العلماء والمصلحين:

تأتي مقولات الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان رضوان الله على الجميع؛ متنوعة ومتكاثرة في ذكر المداراة وما يدل عليها كالتغافل والملاطفة والتودد ونحو ذلك مما يشير لها من جهة أو جهات متعددة وسأكتفي عند هذه الفقرة بالإشارة السريعة إلى بعض تلك المقولات التي جاء فيها لفظ (المداراة) [1] للدلالة على بيان أهميتها والثناء عليها وأهميتها:

يقول الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان، حلمٌ يرد به جهل الجاهل، وورع يحجزه عن المحارم، وخلق يداري به الناس) [2] ويقول ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنه: (رأس العقل التحبب إلى الناس في غير ترك الحق)[3] ويقول حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه زيد بن حارثة رضي الله عنهما: (لا تستثيروا السباع في مرابضها فتندموا، وداروا الناس في جميع الأحوال تسلموا)[4]

---

(١) والأقوال كثيرة ومتنوعة ، وكتب السلوك والأخلاق مليئة بالإشارة إلى (المداراة) كخلق رفيع ، ومجده أهل الأدب وتغنى بها الشعراء ، بل صنفت كتب في المداراة واعتبارها من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة مثل كتاب : (مداراة الناس) لابن أبي الدنيا المتوفى: ٢٨١هـ الناشر: دار ابن حزم بيروت لبنان الطبعة١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م

(٢) نثر الدر منصور بن الحسين الآبي (٥٩/٢) من مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٠هـ.

(٣) كشف الخفاء للعجلوني ٤٢١/١ ، قال الخطابي عن الحسن البصري، أنه قال : المداراة نصف العقل. فقال الخطابي ، وأنا أقول هي العقل كله.

(٤) الأصفهاني (الراغب: محاضرات الأدباء ، ومحاورة الشعراء والبلغاء ١٧٦/٣، دار مكتبة الحياة، بيروت.

يقول ابن حبان البستي: (وعلى المسلم أن يلازم المداراة في جميع أحواله ومَنْ لم يدارِ الناس ملوه، فالواجب على العاقل أن يداري الناس مداراة الرجل السابح في النهر الجاري، لأن وداد الناس لا يُسْتجلب إلا بمساعدتهم على ما هم عليه ما لم يكن إثما فإن كان إثما فلا سمع ولا طاعة)[1] ومن أقوال الناس في المداراة التي ذكرها ابن المنقذ رحمه الله في لباب آدابه[1]: (من عرف الناس داراهم، ومن جهلهم ماراهم) وجاء أيضاً: (رأس المداراة ترك المماراة) وقال أبو سليمان الخطابي: ما دمت حيا فدار الناس كلهم *** فإنما أنت في دار المداراة

(١) انظر كتابه روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١١٢

(١) أسامة بن منقذ: لباب الآداب / ٤٢٩، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٠

الفصل الثالث: من معالم المداراة الدعوية وأهميتها في الدعوة إلى الله

المعالم جمع معلم، والمعلم كما قال ابن الأثير رحمه الله: (ما جعل علامة للطرق والحدود، مثل أعلام الحرم والمعالم المضروبه عليه، وقيل المعلم الأثر)[1] وقيل أنّ المعلم هـــو: (الأثر يستدل به على الطريق)[2] والقصد هنا في هذا الفصل بيان ووضع المعالم والطرق التي من خلالها يتأهل الداعية نفسيا وسلوكيا ليقوم بدوره وواجبه في تحقيق المداراة الدعوية وفق المنهج الشرعي، مراعيا الحدود والضوابط التي من خلالها لايتجاوز المشروع، ويحقق الفقه المطلوب؛ الذي يساعده للوصول إلى مداراة المدعويين تأليفا لقلوبهم واستيعابهم.

فالتواصل مع المدعوين ومخالطتهم ومجالستهم ومحاورتهم، وخوض غمار دعوتهم؛ لا يمكن للداعية من النجاح والتوفيق والتسديد في دعوته إن لم يمتثل منهج الله وتوجيهه لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ))[3] وعند تفسر هذه الآية[4] روى جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: (ليس في القرآن آية أجمع بمكارم الأخلاق منها) وعن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال: (ما أنزلها الله إلا في أخلاق الناس).

فلا يمكن للداعية أن يستوعب الناس ويحسن دعوتهم؛ إلا بالتميز الأخلاقي والسلوكي والنفسي، وسنعرج في هذه الفقرات المختصرة؛ إلى مجموعة من المعالم والسلوكيات التي يحقق بها الداعية المداراة الدعوية ويبرز أهميتها عوناً له على تحقيق هذا النجاح له ولدعوته، **ومن أبرزها:**

- مداراة المدعوين بالخلق الحسن عموما:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير (٢٩٢/٣)

(٢) مختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ص (٤٥٢)

(٣) سورة الأعراف الآية (١٩٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر كتاب التفسير باب : ((خذ العفو وأمر بالعرف .. الآية) (٣٠٥/٨)

- مداراة المدعوين بالقول الحسن والكلمة اللينة:
- مداراة المدعوين بطلاقة الوجه والبشر وحسن الحفاوة:
- مدارة المدعوين بالتغافل والستر وعدم التشهير
- مداراة المدعوين بالتلميح قبل التصريح

أ – مداراة المدعو بن بالخلق الحسن عموما:

الجوانب الخلقية والسلوكيّة لها قصب السبق في موضوع الدعوة؛ لأنها تمثل علاقة الداعية مع غيره، وهذا الجانب الخلقي على أهميته للداعية عموما فالمدارة واللطف واللياقة واللباقة لها وقعها المباشر عند التواصل المباشر مع المدعوين، يقول الدكتور عبد الكريم زيدان مبيّنا أهمية الأخلاق للداعية وعلاقتها بالدعوة: (والأزمة التي يمر بها العالم اليوم، والاضطراب في المجتمعات وسوء العلاقات بين الإفراد مرده إلى زعزعة القيم الأخلاقية في النفوس وتجاوزها فهي أزمة أخلاقية في جوهرها وأساسها، والشريعة بتأكيدها على الأخلاق لم تكن مسرفة في هذا التأكيد ولامبالغة فيه لأنها أكدت على ما هو ضروري لإقامة قواعد الإصلاح على أساس متين)[1]

وحسن الخلق؛ هو المكون الأساس لشخصيّة الداعية[2] ولا قيمة لداعية لا يتميز بصفات نفسية عاليه، وأخلاق وسلوكيات رفيعة، ولا يتصور أن يدعو الداعية إلى مكارم الأخلاق، وهو لا يتصف بها، لأنّه بذلك لن يكسب ثقة مدعويه، ولن يؤثر عليهم، قال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ

(١) أصول الدعوة ، د.عبد الكريم زيدان ص (٦٥)

(٢) وحسن الخلق عموما أصل شرارته ودافعه الأول؛ هو الإيمان بالله تعالى ، فالأخلاق تستمد روحها وقوتها من الإيمان بالله ، وأكمل المؤمنين إيمانا أحاسنهم خلقا ، وكان القدوة والداعية الأول ﷺ خلقه القرآن ، وهذه الأخلاق الحسنة ، شاملة لجميع المجالات ، وداخلة في جميع الميادين ، فللقلب أخلاقه ، وللنفس أخلاقها ، وللبدن أخلاقه ، فهناك مع الأقربين وهناك أخلاق بين أفراد المجتمع المسلمين ، وهناك أخلاق مع غير المسلمين ، وهناك أخلاق مع عامة المسلمين ، وهناك أخلاق مع العلماء الربانيين ، وأهل المكانة والوجاهة والسلطان .

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] وهذا التميز الخلقي والسلوكي كان من أعظم أسباب نجاحه ﷺ في دعوته، ونجاح كلّ من يقتدي به، لأنّ للأخلاق الحسنة، والصفات الرفيعة، أهمية خاصة في الدعوة إلى الله،وهي باب مُشرع لكسب الآخرين، وتأليف قلوبهم، مصداقا لقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

وهذا التميز الخلقي والسلوكي كان من أهم وأعظم أسباب نجاحه ﷺ في دعوته[3] فإنّه ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بأحد، وشمل الجميع بحلمه وصبره، وخصّهم برفقه، وكان الرحيم الشفوق بهم وهذه من أهم معالم ونماذج المداراة للمدعوين، كما أنّ الخلق الحسن؛ باب مُشرع لكسب الآخرين، وتأليف قلوبهم، وكسب محبتهم، ومن أبرز تلك الأخلاق التي يحتاجها الداعي ليكون مؤهلا للمداراة وقادرا على القيام بها:

أ – أن يكون الداعية حليما:

والحلم معنى مهم للداعية مع مدعويه ليتألف قلوبهم، فالحلم يدرّبه على الأناة وعدم التعجل، وتأخير اتخاذ القرار المناسب مع خصوم الدعوة[4] حتى يستنفذ الجهد معهم، وتحين اللحظة المناسبة، ولذلك كان الحلم من صفات الأنبياء والمرسلين الذين كلّفوا بواجب الدعوة فهذا إبراهيم عليه السلام يقول الله تعالى فيه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ

(١) سورة البقرة الآية (٤٤)

(٢) سورة آل عمران الآية (١٥٩)

(٣) فكلما كانت أخلاقه الداعية حسنة ، كان قادرا على التفاعل معهم ، ومداراتهم وتحمل ماقد يظهر من سوء سلوكهم.

(٤) ولذلك جاء في تعريف **الحلم أنّه** : (تأخير مكافأة الظالم) ، وجاء في تعريف **الحليم أنّه** : (الذي لا تستخفه الأفعال المؤذية ، ولا يستفزه الإغضاب) انظر التّعريفات ، للجرجاني ص (٩٢)

لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[1] وكان ذلك واضحا في التعامل في القضايا الحساسة والدقيقة (كالعلاقة بالوالدين عند اختلاف الدين)[2]

والداعية بحلمه على المدعوين،وخاصة غير المستجيبين من المعاندين والمعرضين؛ يستطيع الاستمرار في دعوتهم، حتى تحصل استجابتهم، كما أنّ في حلمه عليهم، ومداراته لهم زيادةُ ثقةٍ من أتباعه، وإدراكهم لقيمته الحقيقية، وقدرته الهائلة في ضبط نفسه، والتحكم بأقواله وأفعاله، ولو لم يفعل ذلك، وترك الحلم، واستفزته مواقف المعارضين، فإنه سينكشف أمام نفسه، وأمام أتباعه، وأمام خصومه، ولذلك كان ﷺ أحلم عباد الله ومواقف حلمه لا تحصى ﷺ.

ج- أن يكون الداعية صبورا:

ولذلك كان من أول مانزل على سيّد الدعاة ﷺ بعد أن أمره الله تعالى بالدعوة وإنذار الناس؛ الأمر بالصبر، قال تعالى في ذلك:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ. قُمۡ فَأَنذِرۡ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ. وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ. وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾[3] فالصبر هو أحد أركان الإمامة في الدين، والتي هي صفة الدعاة والمصلحين، كما قال تعالى في كتابه المبين: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[4]

والداعية إذا أراد أن يكون مؤهلا للدعوة، وقادرا على مداراة المدعوين وكسبهم؛ فعليه بملازمه الصبر، الذي ربطه الله تعالى بالدعوة، فبينهما من التلازم ما لايخفى، ففي وصية لقمان:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

(١) سورة هود الآية (٧٥)

(٢) فقد بيّن الله تعالى، كيف كانت علاقة إبراهيم بأبيه ، وأنّ ما انتهى إليه من تبرأه منه ، لم يكن قرار مرتجلا ولا متعجلا بل هو قرار صادر في وقته ، ومن رجل موثوق الديانة ، حليم في سلوكه ، قال الله تعالى: ((وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبيّن له أنّه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم)) سورة التوبة الآية (١١٤)

(٣) سورة المدثر الآيات : (١-٧)

(٤) سورة التوبة الآية (١١٤)

وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[1]، والصبر صفة أولي العزم، القادرون على تحمل متاعب الدعوة، ومصاعب المدعوين، وتنوعهم وتلونهم وسلوكياتهم، ولذلك وصّى الله تعالى رسوله ﷺ أوّل ماوصّاه بالتزام هذا الخلق، والاقتداء بمن قاموا بواجب الدعوة قبله، والخطاب مستمر، لمن يقومون بواجب الدعوة بعده، قال الله تعالى:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2] أمّا إذا حُرم الداعية من الصبر، وعُدم التخلق بهذا الخلق الكريم، والأصيل في كلّ دعوة، فالبديل هو الطيش والغضب[3]، مما يسبب الضجر، والضعف والفتور عن الدعوة، ومن ابتلي بهذا، فلن ينجح في دعوته، فضلا على أن يفقه كيفية التعامل مع المدعوين، وفقه مداراتهم، وعندها لن يستطيع السيطرة على أفكاره وتصرفاته، فقد يُقدم على خطوات قد لاتكون شرعيّة؛ ليس لأنّه جاهلا بما أقدم عليه، ولكنّ لأنّه لايملك نفسه وتصرفاته.

د- أن يكون الداعية رفيقا:

الدعوات كلّها قامت على الرفق والرحمة، ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام أرفق الناس بالناس، وذلك هو تعليم الله تعالى لهم فإنّه لما أرسل موسى، مع أخيه هارون عليهما السلام، إلى الطاغية فرعون، كانت وصيته لهما بالترفق معه، ولين الخطاب في دعوته ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ. فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[4] يقول الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية: (هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أنّ فرعون في غاية العتوّ والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ

(١) سورة لقمان الآية (١٧)

(٢) سورة الأحقاف الآية (٣٥)

(٣) والداعية في دعوته ، وعند إقدامه على مراعاة الأولويات وتحديده فإنّه كالقاضي تماما ، يحتاج إلى استقرار نفسه ، واعتدال مزاجه ، والبعد كلّ البعد عن مايغضبه ، ولذلك نهى ﷺ القاضي أن يقضي وهو غضبان، فكذلك الداعية

(٤) سورة طه الآيتان : (٤٣-٤٤)

ذاك... والحاصل من أقوالهم أنّ دعوتهما له تكون بكلام رقيق ليِّن سهل، رفيق، ليكون أوقع في النّفوس وأبلغ وأنجع)[1]

والمقصود من الدعوة الوصول إلى نتيجة إيجابية، والنتيجة المضمونة، والعطاء الأكثر احتمالية كما نصّ على ذلك النبي ﷺ لايكون إلا بالرفق، فعن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: ((إنّ الرِّفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه))[2] ولماذا اختيار الرفق دون غيره من الأخلاق الكريمة ؟ فلأنّه من أهم ما ينبغي أن يتصف بها الداعية؛ ليتفقه في أولوياته، ويدرك خير الخيرين، وشر الشرين، فلقد قال ﷺ: ((من يحرم الرِّفق، يحرم الخير))[3] والداعية إلى الله لابدّ أن يكون رفيقا بالمدعوين كما كان ﷺ (فلقد أراد الله إن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويرثي لخطاياه ويستميت في هدايته ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها فأرسل محمدا ﷺ وسكب في قلبه من العلم والحلم وفي خلقه من الإيناس والبر وفي طبعه من السهولة **والرفق** وفي يده من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرا)[4].

ب – مداراة المدعوين بالقول الحسن والكلمة اللينة:

قال الله تعالى: ((... **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً**...))[5] معلم من معالم الدعوة يقول السعدي رحمه الله: (والقول الحسن؛ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة، وغير ذلك من كل كلام طيب. ولذلك فإن من أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله غير فاحش ولا بذيء ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق واسع الحِلم مجاملاً لكل أحد، صبوراً على ما يناله من أذى الخلق، امتثالاً لأمر ربه ورجاء ثوابه

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١٢١/٦)
(٢) أخرجه مسلم ، كتاب البرّ والصّلة والآداب ، باب فضل الرفق برقم (٢٥٩٢) (٢٠٠٤/٤)
(٣) أخرجه مسلم ، كتاب البرّ والصّلة والآداب ، باب فضل الرِّفق برقم (٢٥٩٢) (٢٠٠٤/٤)
(٤) خلق المسلم ، للشيخ الغزالي ص (٢٠٤)
(٥) سورة البقرة الآية (٨٣)

ومغفرته)[١] ويقول القرطبي رحمه الله: (ينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليّناً، ووجهه منبسطاً طَلْقاً مع البَر والفاجر، والسيء والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لأن الله تعالى قال لموسى وهارون ((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً)) فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون. والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه)[٢] (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) كل الناس المشرك وغيره

وفي قول تعالى: ((وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا))[٣] أمر الله المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك، النهي عن عدم الرد بالكلية، أو ردُّها بدونها [٤]. فالآية كما يرى ابن عباس رضي الله عنهما عامة تشمل الخلق جميعاً حيث قال: (من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه، وإن كان مجوسياً، ذلك بأن الله عز وجل يقول: ((وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ))[٥] ويقول ابن حجر في معرض ذكره لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لهرقل عظيم الروم: (لم يُخله من إكرام لمصلحة التألف) [٦]

ج – مداراة المدعوين بطلاقة الوجه والبشر وحسن الحفاوة:

المداراة بطلاقة الوجه والبشر والتبسم والانبساط، ومن الأحاديث الدالة على هذا النوع حديث أبي الدرداء سابق الذكر: (إنا لنَكْشِر في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم)[٧] ونكشر في وجوه القوم: أي نَبسم في وجوههم. وكاشره: إذا ضحك في وجهه وباسطه[٨] وكان ﷺ كما ثبت في بعض الأحاديث، إذا لقي رجلاً هاشاً باشّاً

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص (٥٧)
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/٢)
(٣) سورة النساء الآية (٨٦)
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١٩١)
(٥) تفسير الطبري جامع البيان (١١٩/٥) ، ومداراة الناس لبن أبي الدنيا ص (٩٤)
(٦) فتح الباري لابن حجر (٣٨/١)
(٧) فتح الباري لابن حجر كتاب الأدب : باب المداراة (٥٢٧/١٠)
(٨) لسان العرب لابن منظور ٢٦١/٣.

صافحه وأقبل عليه، روى عكرمة قال: كان صلى الله عليه وسلم إذا لقي الرجل فرأى في وجهه البِشر صافحه)[1] ولقد عدّ ﷺ التبسم من الصدقة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (تبسمك في وجه أخيك صدقة) [2]

ويدخل في ذلك أحاديث ملاقاة الناس بطلاقة الوجه عند اللقاء فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي صلى الله عليه وسلم: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)[3] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: (إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليَسَعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق)[4] ويلحق بذلك كثرة التبسم لمن تعرف ولمن لا تعرف فعن عبدالله بن الحارث قال: (ما رأيت أحد أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[5] ومر معنا ترحيب الرسول ﷺ بالرجل الذي وصفه بقوله (بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة) والذي اعتبره ابن حجر أصلاً في المداراة[6].

هذه الأدلة وأمثالها تبين لنا أهمية طلاقة الوجه والتبسم والضحك وإلانة الكلام في إقبال المدعوين على الداعية والدعوة، وهي أحد معالم المداراة المهمة التي يحقق بها الداعية هدفه في الوصول إلى قلوب المدعوين ليملأها بالخير والإيمان، ولايتصور اللقاء بالمدعوين، ولاردّ السلام عليهم بدون تبسط ورد التحية والبشاشة وطلاقة الوجه ونحو ذلك....

(١) : مداراة الناس ابن أبي الدنيا ص (٦٣)

(٢) الترمذي: صحيح الترمذي ١٣٤/٨ ، أبواب البر والصلة (باب صنائع المعروف) وقال عنه (حديث حسن).

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذري كتاب البر والصلة (باب في تعاهد الجيران بالبر) رقم الحديث (١٧٨٢) ص (٤٧٤)

(٤) مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ١٩٣/٢

(٥) الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في نساء النبي رقم الحديث (٣٦٤١) (٦٠١/٥)

(٦) فتح الباري لابن حجر (٤٧١/١٠)

د – مداراة المدعوين بالتغافل والستر وعدم التشهير

والداعية في دعوته ومع مدعويه وتبليغهم دين الله أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ فسيقف على المنكرات، وسيعرف أصحابها، وهنا لابدّ للداعية الفقيه أن يقوم بمداراتهم ويُقدم الستر عليهم، وهذا هو الأقرب للنصوص، والأوفق والأرفق بالدعوة، فالإسلام جاء ذامّا للتحسس والتجسس، وإظهار مايخفيه الناس من المنكرات، وبذلك جاءت النصوص الشرعيّة، كما جاء في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، وعن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن، فإنّ الظنّ أكذب الحديث، ولاتجسسوا، ولاتنافسوا، ولاتحاسدوا، ولاتباغضوا، ولاتدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا))[2]

والداعية البصير، والمحتسب الفقيه، مع حرصه على إنكار المنكرات ومتابعتها والقضاء عليها، وإيقاف مرتكبيها عند حدهم، وما يلزم ذلك من وقوف على خصوصيات وأسرار، فإنّ الأولية ينبغي أن تكون واضحة أمامه، وهي تقديم الستر عليهم، خاصة إذا كان مرتكب المنكر ممن تخفّى به، ولم يعلنه ويجاهر به، وغير مصرٍ ومعاند على اقترافه، ففي ستر مثل هؤلاء وغيرهم، مصلحة كبيرة للدعوة، وفائدة للمدعو حتى يعود ويتوب، ولا تقطع عليه أبواب الرجعة، لأنّ التشهير به، وفضحه قد يُجرّؤه على مواصلة الفساد والسعي في الانتقام مما وقع له، كما أن فضح أصحاب المنكرات وكشفهم، وعدم ستر منكراتهم؛ نوع من الترويج لهذه المنكرات والدعاية لأصحابها، مما يُشيع الفاحشة بين الناس والله عزّ وجل يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ

(١) سورة الحجرات الآية (١٢)

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب:((ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن...))برقم(٦٠٦٦)(١٧٧/٧)

أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

هـ – مداراة المدعوين بالتلميح قبل التصريح

العمل الدعويّ متوجه إلى إصلاح الناس وتوجيههم، ومعالجة الأخطاء والتجاوزات التي تصدر من المدعوين، والداعية إلى الله تعالى يقف على كثير من تلك الأخطاء والتجاوزات التي تحتاج إلى معالجة وحِسبة، وتدخل سريع، ومن الأساليب المهمة في التوجيه والدعوة ومعالجة تلك السلبيات أسلوب (التصريح والتلميح) ويحتاج الداعية إلى الله تعالى؛ إلى فقه دقيق في استعمال هذين الأسلوبين، مراعيا طبيعة المدعو، وحجم الخطأ ومناسبة الزمان والمكان، فهناك مواقف لا ينفع معها إلا التصريح، ومواقف أخرى يناسبها التلميح، ومنهج القرآن الكريم، والسنة النبوية، واضحا في استعمال الأسلوبين، ولكنّ المقصود من ذكر هذا في معالم المداراة أن الذي يقدم هو التلميح لا التصريح؛ لأنّ الدعوة إلى الله؛ نصيحة وليست فضيحة ومقصودها الأوّل هو تبليغ دين الله، وإيصال الخير للآخرين؛ فلو حصل هذا بأخفّ المتاعب وأقل الأساليب، فإنّ الأولى استخدامها، والتلميح في الغالب أقل ضررا من التصريح، وهو نوع من التعقل والمداراة، أما التصريح فهو نوع من الحسم والمواجهة الذي قد لا يناسب.

فالتلميح قبل التصريح، وتقديم التلميح، كان هو الغالب الأعم في تعامله ﷺ مع الأخطاء وتصحيح المواقف، اقتداء بمنهج النبي ﷺ ودعوته، ومن النصوص الشرعيّة التي تؤصل لهذه القاعدة وتقررها، ما كان يمارسه ﷺ مع المدعوين من التعريض بالمخطئين وعدم التصريح بهم وفضحهم، حيث ثبت عنه ﷺ في أكثر من مقام وموقف قوله ﷺ: (ما بال أقوام) ونحوها من صيغ التلميح والتعريض ومن ذلك ماجاء عن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها قالت: (صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال: ((ما بال

(١) سورة النور الآية (١٩)

أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية))[1] يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى عند شرح هذا الحديث: (وفيه حسن المعاشرة بإرسال التعزير، والإنكار في الجمع، ويعيّن فاعله، فيقال: مابال أقوام ونحوه)[2].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنّ نفرا: (سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش فحمد الله وأثنى عليه، فقال: (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)[3] يقول الإمام النووي رحمه الله: (وهو موافق للمعروف من خطبه في مثل هذه أنّه إذا كره شيئا فخطب له، ذكر كراهيته، ولايعين فاعله، وهذا من عظيم خلقه ﷺ)[4]وعنه أيضا أنّه ﷺ قال: ((ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم))[5]

وبعد هذه الجولة في هدي النبي ﷺ بين التلميح والتصريح يتأكد أهمية تقرير هذه المعلم[6]،

---

(١) أخرجه البخاري ،كتاب الأدب ، باب من لم يواجه الناس بالعتاب برقم (٦١٠١) ، (٥١٣/١٠)

(٢) شرح صحيح مسلم ، للنووي (١٠٧/١٥)

(٣) أخرجه مسلم ،كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ...برقم (١٤٠١) ، (١٧٥/٩)

(٤) شرح صحيح مسلم ، للنووي (١٧٦/٩)

(٥) أخرجه البخاري ،كتاب الأذان ، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة برقم (٧٥٠) ، (٢٣٣/٢)

(٦) لأنّ التوجيه والتذكير والدعوة بالتعريض دون التصريح مما تتقبله النفوس ، ولا تنفر منه (فالنفوس البشرية مجبولة على الأنفة والكبر والاعتداد بالذات فهي لاتحب أن يواجهها أحد كائنا من كان بعيوبها صريحة مكشوفة ، لأنّها تعتبر ذلك إهانة لها وتحقيرا ، فتلجأ إلى العناد والمحادة والمشاقة ، ولاسبيل إلى كسر هذا إلا التعريض في النصح ؛ فإنّ التعريض في النصيحة

لأنّه (يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح)[1] وقد وجه الإمام الغزالي رحمه الله المربي إلى مراعاته فقال: (من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطريق الرحمة، لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار)[2]، ووجه تفضيل التعريض أنّه: (يتضمن إعلام السامع على صورة لا تقتضي مواجهته بالخطاب المنكر كأنّك لم تَعْنِه، وهو أعلى محاسن الأخلاق وأقرب للقبول، وأدعى للتواضع)[3]

يكون أوقع في النفس ، وأكثر إرضاء لغرور المدعو وأنفته وشعوره بكرامته ، وأوفق لظروف الحال ، فيقبل النصيحة ويعمل بها) انظر الحكمة والموعظة الحسنة ، د.أحمد بن نافع المورعي ص (١٧٣)

(١) الكشاف ، للزمخشري (١١٦/٣)

(٢) إحياء علوم الدين ، للغزالي (٥٢/١)

(٣) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي (٣١٣/٣)

الخاتمة والتوصيات:

وفي الختام أحمد الله تعالى على التمام وأسأله حسن الختام، وأن يجمعني في الجنّة مع محمد عليه الصلاة والسلام، كما أسأله أن يجيب دعوتي، ويستر عورتي، ويغفر زلتي.

وأخيراً؛ فبعد هذه الجولة المختصرة والماتعة في بحث: (**المداراة الدعويّة**: مفهومها ومعالمها وأهميتها في تأليف قلوب المدعوين) وتأصيل هذا الموضوع، وإبراز ما فيه من المعاني والمعالم والأحكام والدلالات، فأختصر هنا أبرز النتائج التي توصل لها:

١- أنّ الحاجة العلميّة والبحثيّة ماسّة إلى تأصيل المفاهيم وتحريرها، وبيان معان المصطلحات ودلالاتها، وخاصة تلك المصطلحات التي تتداخل مع غيرها أو قد يساء فهمها، أو يشاع من ظاهر دلالاتها خلاف مقصودها، والخلط في ذلك قد يحسمه الدقة في تعريفها ويزيل ما يحصل من اختلاف الناس في فهم المقصود؛ وخاصة في هذا العصر الذي اختلط فيه الحابل بالنابل، وغلب فيه التناقض والاضطراب،وتداخلت فيه المفاهيم.

٢- أنّ المداراة الدعويّه لها مفهومها الخاص الذي يميزها عن غيرها، وهي ليست من المداهنة والنفاق والخداع المنهي عنه فضلا عن أن تكون من تقية أهل البدع وتلونهم، والمداراة والمداهنة وإن كانا يتشابهان في الظاهر، إلا أنّ مقصد كلّ واحد منهما، ودافعه مختلفٌ جدا.

٣- أنّ المدارة الدعويّة لها حقيقتها وأصولها الشرعيّة الثابتة والواضحة من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية وأقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان من أهل العلم والفضل والدعوة، وأنّ أيّ أخذ بهذه المداراة وتقديمها، أو تركها أو تأخيرها لابدّ أن يكون من خلال النصوص، وأن لا تكون على حساب الدين والعقيدة والقيم.

٤- أن المداراة الدعوية لها قيمتها ومكانتها المهمة والكبيرة والحيوية في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وحاجة الدعوة والداعية إليها ضروريّة؛ فهي من صميم الأخلاق الإسلامية الأصيلة وهي معلم شرعيّ ودعويّ أصيل منذ بداية الدعوة والداعية الأول،

ولم يظهر بسبب المادية الحديثة والمجاملات الباردة والمصالح الدنيوية الضيقة التي شاعت بين الناس في هذه الأيام.

٥- أن المداراة الدعويّة لها قيمتها البارزة والإضافية خاصة في هذا العصر، من أجل تحصيل التعايش، وتحقيق التواصل بين الناس في ظل العولمة والانفتاح وظروف الواقع المعاصر، وخاصة في تلك المجتمعات التي تتعدد المشارب والتوجهات فيها، وتتخللها بعض الطوائف المبتدعة، ويختلط أفرادها بغير المسلمين (من الكفار) ونحوهم فتأتي المداراة لتساعد في تحقيق هذا التعايش وتهيأة الأجواء والفرصة للتلاقي والدعوة والتوجيه بدلا من التنافر والتقاطع والمواجهة، فكان من لطف الله وفضله هذه فتح باب (المداراة) للجوء إليه.

٦- أنّ للمدارة الدعويّة معالم وطرق ووسائل من خلالها يتأهل الداعية نفسيا وسلوكيا ليقوم بدوره وواجبه في تحقيقها وفق المنهج الشرعي، مراعيا الحدود والضوابط التي من خلالها لايتجاوز المشروع، ويحقق الفقه المطلوب؛ الذي يساعده للوصول إلى مداراة المدعويين تأليفا لقلوبهم واستيعابهم، فلا يمكن للداعية أن يستوعب الناس ويحسن دعوتهم، ويحقق النجاح له ولدعوته؛ إلا بالتميز الأخلاقي والسلوكي والنفسي من خلال تلك المعالم.

وأخيرا فيوصي الباحث بما يلي:

- يوصي الباحث نفسه وطلاب العلم وجميع المسلمين بتقوى الله عزو جل أولا، ويدعوهم إلى التمسك بدين الله، والقبض على دينهم وخاصة في هذه الأيام فإنّ القابض على دينه كالقابض على الجمر، ومن اتقى الله، والتزم بأوامره ونواهيه.

٢- كما يوصي الباحث نفسه وجميع الباحثين، والدعاة العاملين؛ بزيادة الاهتمام والعناية بهذين المصدرين الجليلين والوحيين المليئين؛ (**الكتاب والسنة**) والردّ إليهما في كلّ صغيرة وكبيرة، ليفتح الله تعالى على كلّ من يبحث، ويوفق كلّ من يدعو؛ فعلمهما لا يتناهى ولا تنقضي عجائبه، ولا ينقص مع كثرت الأخذ، وفيهما البغية والكفاية والأمان.

- كما يوصي الباحث نفسه وإخوانه الباحثين، ومراكز البحث العلمي والدراسات العلمية، والمهتمين بالدراسة والتأصيل، إلى الاهتمام بـ بالفقه في الدين عموما، والفقه في الدعوة على الخصوص لمن أراد أن يمارسها، ويقتحم ميادينها؛ لأنّه بهذا الفقه الدعوي يحقق البصيرة في الدعوة إلى الله، وبذلك تُثمر الدراسات الدعويّة نتائجها المرجوّة وتؤتي أكلها المطلوب، والعلم الشرعي والتفقه في دين الله؛ هو العاصم من الزلل والمعين على النجاح، وهو الملاذ الآمن والطريق المضمون، فبغيره لا معنى للدعوة، بل إنّ الخوض في غمار الدعوة وميادينها؛ بدون علم يترتب عليه من الآثار الوخيمة مالا تحمد عقباه، وإنّ تقصير الداعية في العلم والتعلم نذير خطر يهدده ويهدد دعوته، وذلك لأن: (العامل على غير علم كالسالك على غير طريق والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح)[1]"

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين
وإمام الدعاة والمصلحين نبيا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم

(١) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم (١/١٣٠)

فهرس المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم، مرتبة على حروف الهجاء، على النجو التالـــي:

١- **إحياء علوم الدين:** للغزالي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ

٢- **الآداب الشرعية والمنح المرعية:** لابن مفلح، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٦هـ

٣- **أدب الدنيا والدين:** للماوردي، ط١، دار العلم، بيروت ١٤٠٤هـ

٤- **أصناف المدعوين وكيفيّة دعوتهم:** لحمود الرحيلي، ط١، درا العاصمة، الرياض١٤١٤هـ

٥- **أصول الدعوة:** لعبد الكريم زيدان، ط٥، دار الوفاء مصر، ١٤١٢هـ

٦- **الاعتدال في الدّعوة:** لمحمد العثيمين، إعداد فهد السليمان، ط١، دار الثريا ١٤١٥هـ

٧- **إعلام الموقعين عن ربّ العالمين:** لابن القيم، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٣٩٧هـ

٨- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:** لابن القيم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ

٩- **البرهان في علوم القرآن:** لبدر الدين الزركشي، دار المعرفة، بيروت بدون

١٠- **تفسير الطبري المسمى: (جامع البيان)** لابن جرير الطبري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٢هـ

١١- **تفسير القرآن العظيم:** للإمام ابن كثير، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ

١٢- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن السعدي، باعتناء؛ الدكتور عبد الرحمن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٢٣هـ

١٣- **الجامع لأحكام القرآن:** للقرطبي ، طبعة دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

١٤- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع:** للبغدادي، طبعة المعارف، الرياض ١٤٠٣هـ

١٥- **الحكمة في الدعوة إلى الله:** لسعيد علي القحطاني، ط١، مطبعة سفير، الرياض ١٤١٢هـ

١٦- **الحكمة والموعظة والحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة:** لأحمد نافع المورعي، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٨هـ

١٧- **خلق المسلم:** لمحمد الغزالي، ط٦، دار القلم بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

١٨- **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها** لأحمد أحمد غلوش، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٤٠٧هـ

١٩- **دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام:** للدكتور محمد أحمد العدوي، ط٤، مصر ١٣٥٤هـ

٢٠- **الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة:** للشيخ ابن باز، طبعة الدار السلفية، الكويت ١٤٠٤هـ

٢١- **دعوة غير المسلمين إلى الإسلام:**لعبدالله اللحيدان، ط،مطابع الحميضي، الرياض١٤٢٠هـ

٢٢- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** لمحمود الألوسي، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ

٢٣- **زاد الداعية إلى الله:** لمحمد العثيمين، إعداد فهد السليمان،ط٣، دارالوطن،الرياض١٤١٣هـ

٢٤- **سلسلة الأحاديث الصحيحة:** للألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ

٢٥- **سنن أبي داوود:** للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، طبعة دار الفكر، بيروت بدون

٢٦- **سنن الترمذي:** للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٩٨هـ

٢٧- **سنن الدارمي:** للإمام عبد الله الدارمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ

٢٨- **السيرة النبوية:** لابن هشام، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٤٠٨هـ

٢٩- **السيرة النبوية:** للإمام ابن كثير، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ

٣٠- **شرح صحيح مسلم:** للإمام النووي، ط٣، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

٣١- **الصحاح :** لإسماعيل بن حماد الجوهري، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩٩هـ

٣٢- **صحيح سنن الترمذي**، للألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٧هـ

٣٣- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري:** للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط١، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

٣٤- **فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير**: للإمام الشوكاني، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ

٣٥- **فقه الدعوة:** لبسام العموش، ط١، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن ١٤٢٥هـ

٣٦- **فقه الدعوة إلى الله:** لعلي عبد الحليم محمود، ط٣، دار الوفاء ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

٣٧- **الفوائد**، للإمام ابن القيم، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٣٩٣هـ.

٣٨- **الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**: لجار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت

٣٩- **لسان العرب**، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت بدون

٤٠- **مجموع الفتاوى:** لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبعة مكتبة المعارف

٤١- **المدخل إلى علم الدعوة:** لمحمد أبو الفتح البيانوني، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٢هـ

٤٢ - **مداراة الناس:** لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا تحقيق: محمد خير رمضان يوسف الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ الناشر: دار ابن حزم

٤٣- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة:** لابن القيم، ط١،دار الكتب العلمية،بيروت ١٤١٣هـ

٤٤- **من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنّة وسير الصالحين:** لفضل إلهي،ط١، الناشر إدارة ترجمان الإسلام،باكستان،توزيع مكتبة المعارف، الرياض١٤١٧هـ

٤٥- **منهج الدعوة في ضوء الواقع:** لعدنان عرعور، من مطبوعات جائزة نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة١٤٢٦هـ (البحث الفائز في دورتها الأولى)

٤٦- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لابن الأثير، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة بدون